محمد مصطفى العمراني
عن محاولتي الفاشلة للصعود الى القمر !
قصص ساخرة

المقدمة

منذ سنوات حاولت إصدار مجموعة قصصية لي بنسخة ورقية بغلاف فاخر ورسوم مصاحبة للقصص وبطبعة أنيقة وبمقدمة يكتبها ناقد معروف ولكن هذا الحلم الذي انتظرته لسنوات وان كان قد أقترب مؤخرا وأصبح قاب قوسين أو أدنى إلا أنه تلاشى مثل غيمة بعد مطر .

لقد تواصلت مع دور نشر في الداخل اليمني وفي مصر ولبنان وفي كل مرة كانوا يعجبون بالقصص ويقرونها للنشر ثم يطلبون مني 600 دولار على الأقل لطباعة ألف نسخة من المجموعة القصصية وسيرسلون لي 200 نسخة منها فقط ويبيعون الـ 800 نسخة ، إضافة إلى أنني سأتكفل بتكاليف النقل إلى اليمن فأنا في النهاية قاص جديد ليس لي إصدار قصصي في السوق ، صحيح أنني قد نشرت بعض القصص في الصحف والمواقع الإخبارية وصحيح أنني أكتب وأنشر منذ عقدين من الزمن ولكن كل هذا لم يشفع لي لدى دور النشر وحين جمعت هذا المبلغ بصعوبة فوجئت بهم يرفعون إلى المبلغ إلى 1000 دولار وأضافوا إليه رسوم التصحيح اللغوي والرسوم وتصميم الغلاف والمقدمة التي سيكتبها ناقد أو قاص معروف فأصبت بالإحباط وقررت نشر هذه المجموعة على النت بشكل إلكتروني على هيئة pdf على أن أواصل التواصل مع دور النشر لعلها تتفاعل وتطبع النسخة الورقية منها بتكاليف معقولة .

هذه القصص من البيئة اليمنية التي صارت بسبب الحرب مثل صحراء مقفرة خالية من الإصدارات الإبداعية إلا ما ندر وقد غلب على قصص المجموعة الطابع الساخر الذي يضحك القارئ ويمتعه ولكن القارئ سيجد لهذه القصص هدف ورسالة وإن بدت بشكل غير مباشر فالقصة تلمح ولا تصرح والحليم يكفيه الإشارة .

مع خالص تحياتي ومودتي ـ محمد مصطفى العمراني

الولي !

بعد منتصف الليل استيقظ الناس في قريتنا على صوت رعد تبعه مطر فارتفعت الأكف لله بالدعوات بأن ينزل الغيث ويسقى الأرض العطشى ، وهطل المطر وسمع الناس صوت السيول فأسرع البعض من الفلاحين على ضوء الفوانيس والكشافات إلى حقولهم يطمئنون هل ارتوت بالماء ؟ ، ومع انبلاج النهار سارع الفلاحون إلى حقولهم ليجدوها قد ملئت بالماء وتحولت إلى برك متجاورة فاستبشروا خيرا وبعد أيام كان الجميع يرمون الحبوب في حقولهم ويرددون الأهازيج كأنهم في كرنفال جماعي بهيج .

كنت مع اخواني وأولاد عمي قد صعدنا إلى مؤخرة الجرار الذي يشق الأرض فنرمي الحب فيها حتى اذا فرغت أوعيتنا قمنا بملئها من جديد ولم تمض أيام حتى نبت الزرع وأخضرت الأرض واكتست الحقول ثوبها الأرض الأخضر البديع لكن المطر توقف وبدأ الزرع يضمر وتجمعنا في باحة المدرسة للاستسقاء ، واستغربت حين لبس الناس ثيابهم بالمقلوب وامرونا نحن الأطفال بأن نقلب ثيابنا فسارعت إلى قلب الكوت فسقطت فدرة الحلوى التي كنت اخفيها في الجيب الداخلي للكوت وتناثرت نقودي وهرع الأطفال يلقطونها ويفرون وأنا اطاردهم ومضت أيام ولم ينزل المطر وشح الماء في الآبار فأصيب الناس بيأس مخيف .

كنت انبش في خزانة جدي فعثرت على كتاب أصفر قد تمزقت الكثير من صفحاته وهالني ما قرأته : (واذا توقف المطر واستحكم الجفاف وازداد القحط وأردت نزول المطر فأكتب بالقلم اليراع على ورقة بيضاء من أول سورة الواقعة إلى قوله تعالى : (وماء مسكوب) ثم علقها على شجرة بحيث تصبح في مهب الريح وتهتز

وحينها سوف يهطل المطر واذا استمر نزوله فمزق الورقة وحينها سيتوقف .

وفرحت بما قرأت كأنني قد عثرت على كنز ثمين ، إنها فرصتي التاريخية لإنقاذ الوضع في القرية ، اسرعت فوضعت الكتاب في النافذة وذهبت إلى الناس فورا ابشرهم بنزول المطر غدا ، البعض كانوا يقولون :- " إن شاء الله ربنا كريم ".

والغريب أن أكثرهم سخروا مني وضحكوا علي فأكدت لهم " ان موعدنا غدا واصبروا ولا تستعجلوا " فهزوا رؤوسهم ضاحكين ، لقد تحول الأمر إلى ما يشبه الرهان والتحدي بيني وبين الناس وبت في تلك الليلة وأنا أفكر في الأمر وأتساءل بيني وبين نفسي :

- ماذا لو لم ينزل المطر ؟!

وأجيب :

- في النهاية سأخبرهم الحقيقة وأريهم الكتاب وليكن ما يكون .

بعد ظهر اليوم التالي بحثت عن الكتاب فلم أجده فتشت كل مكان فلم أجد له أثر وحين وجدتني أمي أبحث سألتني:

- هل تبحث عن الأوراق الصفراء التي في النافذة ؟

- نعم أين هي ؟

- أكلتها البقرة .

هرعت إلى المطبخ والشرر يتطاير من عيوني وأخذت السكين وقد عزمت على ذبح هذه البقرة المسعورة التي تأكل أي شيء ، لحقتني أمي تحذرني : " لا تجنن يا محمد هي بهيمة لا تعقل " .

رميت السكين وألهبت ظهر البقرة بعصا غليظة ففرت هاربة فاتبعتها برشقة أحجار ، ثم هدأت قليلا وقلت لنفسي :

- طالما قد حفظت السر فما هو الداعي للكتاب ؟!

كتبت على الورقة بداية سورة الواقعة إلى الآية (وماء مسكوب) كما حفظت من الكتاب ثم علقتها على الشجرة وانتظرت هطول المطر ولكن المطر لم ينزل والجو لا يزال صحوا والسماء صافية لا سحابة فيها صعدت الأكمة التي بجوار منزلنا أبحث في كل الجهات فلم أجد حتى نتفة من سحاب أو بصيص أمل !

يا فضيحتاه .!

أيقنت بأني قد كذبت على الناس وانتهى الأمر ، سأصبح أضحوكة بين الناس لأشهر .

تناولت طعامي ثم قررت أنني قد هزمت ولابد أن أختبأ من الناس فدخلت إحدى الغرف وأغلقت النوافذ وحاولت النوم فلم يغمض لي جفن فقمت فتوضأت وصليت ودعوت الله أن ينزل المطر وأن لا يفضحني بين الخلق ، دعوت الله بحرقة وإخلاص وبكيت ثم واصلت الدعاء والبكاء وحين سمعت صوت يشبه الرعد قلت في نفسي : هذا صوت الكرة في الملعب المجاور لمنزلنا .

وواصلت الدعاء والنحيب ولم أعلم كم مضي من الوقت ما أتذكره أن الريح من شدتها أطارت النافذة من مكانها فرأيت مطرا لم أره في حياتي ومن شدة فرحي سجدت شكرا لله وتواصل المطر واشتد فداخلني خوف شديد وأيقنت بأننا سنغرق فعلا فعدت أدعو الله أن يوقف المطر وخف المطر رويدا رويدا وخرجت إلى الناس مرفوع الرأس فهرعوا يقبلون يدي ويتبركون بي ولكنني خشيت من الفتنة وأن يداخلني الغرور وأصدق فعلا أنني ولي من أولياء الله

الصالحين وأنني صاحب كرامات ومستجاب الدعاء ففرت إلى قرية أخوالي لكنني ما ان وصلت عندهم حتى كان الخبر قد سبقني إليهم وبعد وصولي لمنزل خالي تجمعت بضعة نسوة تتقدمهن خالتي التي طلبت مني أن أكتب لهن تمائم كي يحملن ويرزقهن الله بذرية صالحة وحينها فررت من قرية أخوالي وعدت إلى قريتي من جديد .!!

حادثة غريبة !

لم يمض سوى بضعة أسابيع على وصول سمير فاروق مدرس اللغة الانجليزية إلى المدرسة بقرية الظهرة حتى جاء أحمد العاقل يشكوه إلى مدير المدرسة مهتما إياه بأنه قليل أدب وقد تحرش بابنته عبير أمام جميع زملائها وقد أخبره بعضهم بكل ما حدث ، أندهش المدير وقاطعه مطالبا اياه بأن يثبت اتهامه فأكد العاقل أن لديه بدل الشاهد الواحد عشرة وأنه لن يسكت إذا لم يتم طرد هذا المدرس الوقح من المدرسة وحينها طالبه المدير بأن يجلس ويهدأ ويصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل مشكل حل .

جلس العاقل وهو يهدد ويتوعد واستدعى المدير الطالبة عبير من الصف الأول ثانوي فجاءت مرتبكة ترتعد خجلا وخوفا فطلب منها المدير أن تجلس وتطمئن كما استدعى المدرس سمير فجاء هادئا مطمئنا كأن شيئا لم يكن ، أغلق المدير باب الإدارة بينما ظل المدرس واقفا كأنه مجني عليه وضع بالخطأ في قفص الاتهام وقد تأكد تماما من براءته .

قال المدير :

- أستاذ سمير هذا المواطن أحمد العاقل يتهمك بأنك قد تحرشت بابنته عبير في الصف فهل هذا صحيح ؟

رد المدرس بكل ثقة:

- غير صحيح بأنني تحرشت فيها ولكنني أشدت بجمالها المثير ، البنت حلوة مثل البدر في منتصف شعبان وأنا يا حضرة المدير انسان يقدر الجمال ..

هجم عليه والد الفتاة بعصاه الغليظة فتلقى المدرس الضرب وتألم بهدوء كأنه يتلقى الضرب من أبيه بينما قفز المدير ليمنع العاقل من مواصلة اعتداءه على المدرس الذي واصل حديثه وهو ينظر بإعجاب للفتاة المبتسمة خجلا :

- ان كنت قد أخطأت فأنا أعتذر لك يا أخ أحمد ولابنتك لكن البنت حلوة جمالها يفطر الصائم ويحول الشيبة المطوع إلى مراهق صائع ولو رآها مجنون ليلى لنسى ليلى وصارت هي ليلاه ونهاره وليله .

قاطعه العاقل :

- احترم نفسك واسكت يا قليل الأدب قبل ما أكسر عظامك يا ابن ....

وصرخ المدير فيهم جميعا :

- اصه اسكتوا واسمعوني : الأستاذ سمير يلتزم لي الآن خطيا بعدم التعرض للطالبة عبير ويقوم يقبل رأسك يا عاقل وأنت تعتذر له عن كلامك الجارح واعتداءاك عليه و" يا دار ما دخلك شر " ما نريد شوشرة وفضائح نحن في المدرسة ولسنا في السوق .

رفع المدرس يده مطالبا المدير بأن يأذن له بالكلام فهز المدير رأسه موفقا :

- يا مدير كلامك على رأسي وعيني وراضي بحكمك والذي تأمرني مستعد أنفذه ولو تحملني الجبل الثقيل وسأكتب الآن اعتذار خطي للأستاذ أحمد وأقبل رأسه ويديه ورجليه ولكني أتقدم أمامك الآن لخطبة عبير وسأنفذ كل شروطه ومستعد اتزوجها على سنة الله ورسوله .

وقاطعه العاقل :

- اسكت يا قليل الأدب لن أزوجك بنتي لو تجيب لي كنوز سليمان ، يعلم الله من أين أنت ؟ وما أصلك ؟ وفصلك ؟ قد تكون جزار أو حجام أو.. وهنا تدخل المدير واسكت العاقل :

- لا لا لا يا عاقل هنا أنت أخطأت وبدأت تشتم وتجرح في أعراض الناس بدون علم ، الأستاذ طلب البنت على سنة الله ورسوله أسأل عنه وعن أهله هذا من حقك أقبل به أو أرفض بدون شتائم وأنا متأكد أنه ابن ناس وقد دخل البيت من بابه .

ولم يحتمل العاقل حديث المدير فأمسك بيد ابنته وجرها جرا لاعنا اليوم الذي أدخلها فيها المدرسة حالفا الأيمان المغلظة أن لا تعود إليها طول عمرها .

كانت الفتاة تسير خلف أبيها وهي في غاية السعادة والفرحة ، تتذكر حديث المدرس عنها وتغزله بجمالها وتحلق بخيالها في عالم وردي جميل تتمنى أن تظل فيه ولا تفارقه أبدا .

وطوال الطريق ظلت عبير تستعيد حديث المدرس عنها فيغمر قلبها شلال من السعادة التي تروي عطشها الشديد للحب والحنان لأول مرة فطوال عمرها لم يتغزل أحد بجمالها ولم تسمع من أهلها يوما كلمة طيبة .!

في المساء طرق مدير المدرسة وشيخ القرية باب العاقل وأخبروه بأنهم قد أجروا اتصالاتهم وسألوا عن هذا المدرس وتأكدوا أنه ابن ناس ومن عائلة محترمة ونصحوه بأن يزوجه وأن يفرض عليه شروطه ولكنه رفض ومرت الساعات بطيئة ثقيلة وتفتت الأحجار ولانت الصخور بينما رفض العاقل وعاند وتصلب كأنه حجر صوان رغم محاولاتهم التي استمرت إلى منتصف الليل .!

بعد أسبوع أختفى المدرس سمير من المدرسة كما اختفت عبير العاقل من منزل والدها ولم يعثر لهم على اثر .

وكاد العاقل يصاب بالجنون وانطلق مع المدير والشيخ إلى قرية سمير فاروق ولكن أسرته وأقاربه اقسموا الايمان المغلظة أنه لم يعد إليهم ولم يروا وجهه منذ سافر إلى قرية الظهرة قبل أشهر ، وفي إدارة الأمن بالمديرية أكتفى العاقل بكتابة شكوى ضد المدرس متهما إياه بخطف ابنته وشهد المدير والشيخ على ذلك وطالبوا الشرطة بإعادة الفتاة إلى أهلها وضبط خاطفها وعاد الجميع إلى القرية .

وصارت قصة سمير وعبير حديث الناس في مقايل القات وتحدثت عنها النساء في البيوت والرعاة في الجبال والوديان لأشهر ثم نساها الناس ومضت الأيام وعادت القرية إلى هدوءها لكن الفتاة عبير لم تعد إلى منزل أهلها ولم يعد المدرس سمير إلى المدرسة كما لم يعد للعاقل ذرة من العقل .!

---

* ملاحظة : القصة من خيال الكاتب والظهرة اسم شائع لكثير من القرى اليمنية.

لصوص لكن مبدعون !

يبدو أني أول شخص في العالم يتعرض للسرقة ولا يصاب بالحزن ولا حتى يتمنى معاقبة الجناة بل ويتمنى أن يلقاهم ، القصة غريبة فعلا وما سبق مبتدأ وإليكم الخبر .

قبل أكثر من 20 عاما كنت عائدا من صنعاء إلى قريتي في إب وفور نزولي من السيارة البيجوت في مدينة إب تعرضت لأغرب سرقة في حياتي ، في البداية وجدت طفلا صغيرا تبدو عليه مظاهر الثراء والرفاهية يلبس بذلة فاخرة ويبكي وفي يده ورقة فيها رقم هاتف في أمريكا أخبرني أنه أمه في المستشفى في حالة ولادة وأنه يريد الاتصال بوالده في أمريكا ويبحث عن هاتف جوال برصيد دولي ، ولم تكن الهواتف المحمولة يومها قد انتشرت مثل الآن ، نصحته أن يذهب لأقرب مركز اتصالات ويجري اتصالا من هناك ، ولكنه أخبرني أنه لا يملك نقودا وانما يملك ساعة والده المغترب وهي غالية الثمن ويريد رهنها ، اعتذرت له ومضيت وحينها تحلق حوله مجموعة من الناس يريدون شراء الساعة ويدفعون له مبالغ كبيرة والولد يرفض ، مضيت ومضى الولد في الشارع المقابل ودفعني الفضول لمراقبة ما سيحدث له ، في البداية توقفت سيارة فاخرة ونزل منها شاب تحدث معه قليلا ثم عاين الساعة وأخرج من جيبه رزمة من النقود ودفعها له ولكن الولد رفض ومضي في طريقه ، تبعه الشاب وحاول اقناعه ببيع الساعة ولكنه رفض فتركه وانصرف ، ثلاثة من الأشخاص يحملون كتبا وحقائب مدرسية ويبدو من هيئتهم أنهم من المدرسين خرجوا من مدرسة مجاورة توقف الطفل وحدثتهم فأشاروا إلى مركز الاتصالات وحدثهم الطفل ثم أخرج الساعة فقاموا بفحصها بشكل

سريع وجمعوا من جيوبهم مبلغا من المال وسلموه للطفل ولكنه رفض بيع الساعة وواصل المضي وواصلت بدوري المسير بالشارع المقابل لأرى ما سيحدث للولد ، قابلته فتاة فتحدث معه وناولها الورقة فتأملتها وأشارت إلى مركز الاتصالات فتحدث معها وأخرج لها الساعة فقلبتها في يدها ثم أخرجت له رزمة كبيرة من النقود ولكنه رفض وواصل المسير .

بدأت أقتنع أن الساعة ثمينة فعلا وأنني لو كان معي نقود لاشتريتها من الطفل ولكني لا أملك النقود وكل ما أملكه بالكاد يوصلني إلى القرية ولكن معي مبلغ عشرة ألف ريال أرسلها أحد أبناء قريتي في صنعاء مصاريف لأسرته ولذا لن أتصرف فيها مهما حدث .

قطعت الشارع وذهبت للولد فتعلق بي وطلب مني أن اتصل بوالده في أمريكا على الرقم وأكد لي أنه فور تحويل والده بالمبلغ سيدفع لي تكاليف الاتصال التي سأدفعها لصاحب المحل فاعتذرت له بأني لا أملك النقود ولكنه يمكنه رهن الساعة لصاحب محل الاتصالات فوافق الولد ومضينا إلى مركز الاتصالات وطرحت على صاحبها الأمر فرفض وأخبرني أنه مجرد عامل ولكننا يمكننا أن ننتظر صاحب المحل الذي سيأتي بعد الظهر وهنا أنهار الولد باكيا :

ـ أمي الآن قد ماتت في باب المستشفى وهو يريدني أن أنتظر لصاحب المحل إلى بعد ظهر !!

كان منظره يستدر الرثاء ويستثير الإشفاق وتخيلت أمه تتألم وتصرخ بباب المستشفى وصاحب المستشفى الجشع يرفض دخولها فأخرجت المظروف من جيبي وقلت له :

ـ خلاص سأشتري منك الساعة بعشرة ألف ريال .

وكانت المفاجأة أنه رفض وأخبرني أن الساعة ثمينة جدا وقد أشتراها والده المغترب بألفين دولار وحينها تركته ومضيت ، لقد شعرت أنني بذلت كل ما في وسعي معه ومرت دقيقة وإذا بالولد يتبعني ويطرح علي فكرة أن يرهن عندي الساعة بعشرة ألف بشرط أن أكتب له ورقة رهن وبحضور شهود وأوقع عليها فوافقت وضحيت بالأمانة التي بحوزتي لأجل انقاذ أم الولد التي تتألم في المستشفى وكتبت له ورقة رهن ووقعت عليها وأخذ العشرة ألف ومضى .

لبست الساعة ومضيت بها إلى معرض لبيع الساعات والملابس وسألت صاحبه عن سعر الساعة ففحصها جيدا ثم أخبرني أن سعرها بـ 1200 ريال صدمني حديثه فطلبت منه أن يتأكد فأخبرني أنه متأكد وأنها تقليد للرولكس وأخرج لي عدة ساعات شبيهة لها وحينها أحسست بمشاعر متناقضة وبدأت أتساءل : معقول عملوا كل هذه التمثيلية لكي ينصبون علي ويبيعون لي ساعة مزيفة ؟!

لم أعد إلى قريتي ولكني ذهبت إلى قرية مجاورة واقترضت من صديق لي 10 ألف ريال وعدت إلى قريتي وسلمت الأمانة ومضت الأيام وكلما تذكرت تلك القصة تمنيت من أعماقي أن ألقى تلك العصابة مرة أخرى ليس ليسرقوني بل لأقنعهم بتأسيس فرقة مسرحية والعمل في التمثيل ، انهم مبدعون للغاية وسيقنعون الجمهور بأدوارهم وأدائهم وقد سامحتهم على ما فعلوه بي لأنهم تعبوا كثيرا في تلك المسرحية التي ظننت أنني قد قمت فيها بدور البطل الذي يضحي لإنقاذ الآخرين ولكنني كنت المغفل الوحيد الذي ضحكوا عليه .!

حوالة من غريب !

وصلت رسالة إلى هاتفي بأن لدي حوالة عبر مصرف الكريمي ، استغربت اذ لم يخبرني أحد بأن لدي حوالة وظللت أفكر وأسأل نفسي : من سيرسل لي الآن بنقود ؟!

ذهبت إلى مصرف الكريمي القريب منا ولأنهم يعرفوني فبمجرد أن أعطيتهم رقم الحوالة قاموا بتسليمي السند وفوجئت باسم شخص لا أعرفه ولانشغالي بالاسم فلم أرى كم المبلغ الذي في الحوالة ، كتبت اسمي ووقعت وذهبت إلى الصراف لاستلم المبلغ فأخبرني ان كنت أريد المبلغ بالريال اليمني أم بالدولار ؟

انتبهت عند سماعي لكلمة الدولار فقلت : بالدولار

سلمني مبلغا كبيرا فتسلمته وكلي ذهول ودهشة ومضيت وانا غير مصدق ما يحدث لي ، اتحسس جيبي واقرص نفسي لأتأكد بأنني لست في حلم ، يا الله من الذي أرسل لي هذا المبلغ ؟!

وماذا يريد مني ؟!

ذهبت إلى محل الصرافة وصرفت 100 دولار وذهبت إلى البقال وسددت ديوني وبقي لي مبلغ لا بأس به من صرف المائة دولار لقد صرفتها حينها بـ 37 ألف ريال ثم عدت إلى بنك الكريمي وأودعت بقية المبلغ في حسابي الذي لم يكن به سوى ألفين ريال يمني وما زلت غير مصدق ما يحدث لي .

مضى اليوم الأول ولم يتصل بي أحد أو يخبرني بأنه قد حول لي المبلغ ومضت أيام وأسابيع والأسئلة تحاصرني عن سر هذا الغريب الذي فاجأني هذه المفاجأة السارة ، أسئلة كثيرة شغلتني في ليلي ونهاري ولم أجد لها جوابا وحين أكتمل الشهر قلت : لابد أن هناك خطأ ما فكيف يرسل لي شخص لا أعرفه مبلغ كهذا ؟!

واذا افترضنا أنه قد أخطأ في رقم هاتفي فكيف يكتب اسمي الكامل ؟!

لماذا لا اتصل بهذا الشخص وأسأله وساجد عنده الجواب ؟!

ذهبت إلى مصرف الكريمي وهناك سألني الموظف :

خير يا أستاذ محمد حوالة وإلا سحب من الرصيد ؟

- لا حوالة ولا سحب أريد خدمة أخرى أريد رقم الشخص الذي حول لي مبلغ قبل شهر لأني فقدت رقم هاتفه وهو مسجل عندكم .

تململ الموظف قليلا ثم سألني:

- هل لديك رقم الحوالة ، أعطيته رقم الحوالة فسجل لي رقم الهاتف على ورقة فشكرته ومضيت وفي الطريق اتصلت بالشخص الغريب فوجدت هاتفه مغلقا ، كررت الاتصال لمرات عديدة ولكن الهاتف ظل مغلقا وفي اليوم الثاني كررت الاتصال ووجدت الهاتف أيضا مغلق ، فكرت في مراسلته في الواتساب ، سجلت اسمه الغريب وفوجئت بأنه ليس عنده واتساب ، حاولت عبر صديق في شركة " يمن موبايل " الحصول على بيانات صاحب الرقم الغريب ولكنه رفض وذات يوم علمت أن صديقي صاحب المكتبة القريبة من منزلنا لديه أخ يعمل في شركة يمن موبايل للهواتف النقالة وبإمكانه أن يوافيني بالمعلومات وفعلا طلبت منه هذه الخدمة دون

أن أخبره بما حدث وفعلا زودني باسم الشخص الغريب وبعنوانه فذهبت على العنوان وسألت عنه فأخبرني جيرانه أنه مغترب منذ سنوات وأنه جاء إلى اليمن زيارة وغادر ومضت الأيام ومرت سنوات وما زلت أتساءل بيني وبين نفسي عن ذلك الغريب الذي حول لي تلك الحوالة الكبيرة .

مؤامرة حمار !

في نهاية مرحلة الطفولة ودخولي مرحلة المراهقة عدت من المدينة حيث كنت أدرس هناك ، عدت إلى قريتنا كما يعود رائد الفضاء إلى كوكب الأرض يروي مشاهداته وانطباعاته بفخر وإعجاب مفرط بالذات ، فقد كان أطفال القرية يتحلقون حولي أروي لهم عجائب المدينة وغرائبها وهم فاغري أفواههم دهشة لما يسمعون من الأشياء العجيبة والغريبة التي لم يشاهدونها بعد .

كنا بعد حصاد محصول الذرة في الوديان والناس يرعون مواشيهم في الحقول بعد الحصاد وأنا مثل الطاووس مزهوا بنفسي وقد أراد أحد الفتيان وقد استبد به الحسد أن يجعلني أضحوكة فزعم أني قد " تمدنت " ولا أقدر على ركوب الحمار وتحداني أن نتسابق وإياه فوق الحمير وقبلت التحدي ولو كنت أعلم بما سيحدث لي ما قبلت هذه المغامرة ولكن كيف انسحب والفتيان حولي والبنات يرمقنني

بنظراتهن وأردت أن أفشر أمام البنات وافوز بإعجابهن وأظهر أنني ابن المدينة وبطل الريف أيضا .!

وبالفعل قربوا لي حمارا وامتطى الولد الآخر حمارا وبدأنا السباق وكان الولد ماهرا في ركوب الحمار فسبقني ولكني لم استسلم وقد ضربت حماري بعصا غليظة فأسرع وكدت اسبقه وكانت نتيجة الشوط الأول أننا تعادلنا فاستبشرت خيرا وعقدت العزم على أن اسبقه في الشوط الثاني وصفر الأطفال فانطلقنا كالفرسان على ظهور الحمير وكنا على توازي ولدى العودة وعندما كنا في موازاة الفتيات يبدو ان حماري مل من هذه المسرحية السخيفة التي نمثلها فألقاني أرضا ثم عاد ودعسني بقدميه عدة مرات ومزق بذلتي الجديدة التي عدت بها من المدينة وتركني انزف وتحول مهرجان السباق في المرعى إلى كارثة فقد غبت عن الوعي وحملوني وانا في الرمق الأخير إلى البيت لتلقي العلاج الاولي وبقيت اسابيع أتوجع واتألم وأتوعد الحمار بالويل والثبور وعظائم الأمور وعقد العزم على قتله فقد مسح بكرامتي الأرض وجعلني أضحوكة للأطفال والبنات وبعد أسابيع بدأت أمشي على عكاز باحثا عن الحمار لانتقم لكبريائي فلم أجده ومرت أشهر وسنوات وبقي في ذهني سؤال:

طالما قد ألقاني الحمار أرضا لماذا عاد ورفسني لمرات وبكل ذلك الحقد والغل ؟!

يبدو أنها مؤامرة قد حيكت ضدي وأن ذلك الحمار المجرم قد تآمر مع ذلك الولد الحاسد .!!

مكان للتذكر !

ضيعت مفتاح الخزنة .!

لم يكن في خزنتي المنزلية الكثير من المال رغم كبرها لكنه كان يكفينا بالكاد حتى اخر الشهر .

المشكلة ليست في النقود التي في الخزنة فالنقود يمكن أن ندبرها ولكن المشكلة في الأوراق الهامة التي وضعها بعض الأقارب والأصدقاء أمانات عندي وهي كثيرة واذا طالبوني بها ستكون مشكلة واحراج كبير لي لأن المفتاح الضائع هو الوحيد والخزنة يصعب فتحها أو كسرها لسماكتها وكبرها ، أتذكر أنني حين اشتريتها اضطررت لجمع سبعة من الشباب مفتولي العضلات لنقلها للدور الثالث حيث أسكن.

كان المفتاح بحوزة الزوجة ولكني في فورة حماسة قررت استعادة حقي المسلوب في إدارة الأمور المالية في المنزل والتحرر من تسلط الزوجة وهيمنتها على وزارة المالية ، ورغم إفلاس وزارة المالية في منزلنا إلا أنني قررت اتخاذ خطوة رمزية نحو الاستقلال واستعادة السيطرة على الأمور .

بدت زوجتي مستغربة من طلبي لمفتاح الخزنة واشعارها أنه سيظل بحوزتي كقرار نهائي لن اتراجع عنه مهما حدث فالرجولة مواقف وقرارات وقد اتخذت القرار .!

سلمتني الزوجة مفتاح الخزنة محذرة من اضاعتي له فقلت وأنا أفتل شاربي : " عيب هذا الكلام " .!

ولم يمض عدة أيام حتى اضعت المفتاح ووقعت في المحذور وفي البداية لم أخبرها حتى لا تشمت بي وتضحك على خيبتي ولذا كثفت البحث عنه بصمت وفي كل مكان ، قلبت كل زاوية وركن في المنزل ولكن دون جدوى وبقيت استدين من البقالة حتى أعتذر لي البقال بلطف ، وفي النهاية قررت إبلاغها بالأمر وليكن ما يكون ولعلها ربما قد وجدته ولم تخبرني لتؤكد لي أنني مهمل ولست على قدر المسؤولية .

عندما أخبرت الزوجة بضياعي لمفتاح الخزنة أنكرت علمها به ولما وجدتني غير مصدق لها أقسمت الأيمان المغلظة أنها لم تره منذ سلمته لي .

واصلت البحث عن المفتاح في كل ركن وزاوية في البيت ولكن دون جدوى ، لقد أختفى المفتاح كأنه تبخر .!

يا الله أين وضعته ؟

ألم يكن في جيبي فأين سيذهب ؟!

استسلمت للأمر وقررت أن استلم الراتب مقدما وقد أخبرت أمين الصندوق بما حدث لي فضحك كثيرا ونصحني أن أعيد المفتاح للزوجة وحدثني عن نجاح النساء في إدارة الأمور المالية وحسن تدبيرهن عكسنا نحن الرجال وأن زوجته هي من تشتري مصاريف البيت وكسوة الأولاد وكافة الاحتياجات وأن الشي الذي يشتريه بألف ريال تشتريه هي بخمسمائة ريال ووو ولما مللت من حكاياته سألته :

- هل ستصرف لي الراتب الان أو لا ؟

تكرم أمين الصندوق وصرف لي الراتب في منتصف الشهر كأمر استثنائي لكنه نصحني بأن اتعظ من فشل ثورتي على النظام القديم وأعيد الأمور المالية للزوجة .

وعدت للمنزل وفي طريقي أكلت ثلاثة من كيزان الذرة المسلوقة فأصابني مغص شديد وأسرعت إلى الحمام وفي ذروة الإسهال الشديد تذكرت أين وضعت المفتاح فصبرت حتى انتهيت من الحمام واسرعت إلى الجاكيت الذي خلعته منذ أيام بعد أن اتسخ واستبدلته بأخر وبالفعل وجدت مفتاح الخزنة في جيب الجاكيت وتعجبت كيف بحثت في كل مكان البيت ونسيت الجاكيت الذي كنت ألبسه ؟!

اليوم كلما نسيت شيئا أخرج باحثا عن بائع الذرة المسلوقة لأكل ثلاثة من كيزان الذرة وأعود سريعا إلى الحمام لأتذكر ما نسيته .!

عن الحضارة التي بنيتها !

في منتصف التسعينات ولما بلغ عمري 15 عاما اجتمعت الأسرة وقرروا تعييني حارسا على حقول الذرة التي نملكها في قريتي بريف إب ، كانت أعواد الذرة قد بدأت تظهر ثمارها والعصافير تهاجمها وكذاك المواشي دائما ما تشن غارات على حقولنا وتأكل منها سهوا أو عمدا من الرعاة كون حقولنا بجوار الطريق ولذا عينوني حارسا على الحقل وجهزوني بقبعة من سعف النخيل استظل من الشمس وزمزمية فيها الماء وخبز بالكيس على أن ينادوني وقت الغداء لأعود لتناول الغداء معهم بشكل خاطف والعودة من جديد إلى حراسة حقول الذرة .

في الربوة التي تعلو حقولنا قررت بناء غرفة صغيرة " ديمة "(1) استظل بها من الشمس الحارقة وأجرب حظي في البناء ومن يدري فربما صرت في المستقبل بناء محترف أبني القصور والعمارات ، وبدأت بجمع الأحجار وبنيت تلك الديمة التي هي أكبر من تلك الديمة التي تفاخر بها الاماراتيون مؤخرا باعتبارها معالم حضارية اماراتية تعود لألاف السنين .!

كانت الديمة التي بنيتها قوية وترتقى إلى مستوى " محراس قات "(2) ولقوتها كنت أصعد إلى سقفها واتبرطع ولا يحدث لها شيء وقد ظلت الحضارة التي بنيتها سنوات طويلة صامدة فوق الوادي كشاهد على الحضارة العمرانية (نسبة إلى محمد العمراني) ولولا أنني ترقيت في السنوات التي تلت بناء تلك الديمة وصرت راعيا للغنم لكنت تعاهدت ذلك المعلم الأثري والانجاز الحضاري الذي

حققته ولكنت اليوم أفاخر به الإمارات واتفوق عليها لأن ديمتي أكبر طبعا من تلك الديمة التي عرضها الاماراتيون مؤخرا كاكتشاف أثري فريد وكشاهد على حضارتهم الضاربة في التأريخ !!.

تشبه الآثار التي عرضها الإماراتيون مؤخرا غرفة الدجاج التي بنيتها بجوار بيتنا والتي تهدمت بعد أن هجم الثعلب على الدجاجة الوحيدة التي اشتريتها عندما قررت أن أقتحم عالم المال والأعمال وأبدا من الصفر فاشتريت بتحويشة العمر حينها الـ 140 ريال دجاجة من جارتنا لأبدأ مشروع " مزرعة العمراني للدواجن والبيض " لكن الثعلب هجم ذات ليلة على دجاجتي الوحيدة وقد سمعت صراخها فصحوت من نومي مذعورا وسارعت لنجدتها وبيدي اليسرى " الكشاف " وباليد اليمنى الفأس ولكني وصلت متأخرا - مثل الشرطة في العالم العربي - وقد حملها الثعلب وفر بعيدا كأنه مسؤول عربي فر بأموال الدولة إلى الخارج وقد حاولت ملاحقة الثعلب ولكن دون جدوى وللأسف قضى ذلك الثعلب الماكر على طموحاتي المالية وحطم مشروعي التجاري بضربة غادرة .!

لو كنت أعلم أنه سيأتي يوم تتفاخر دولة الإمارات بتلك الكومة من الأحجار " الديمة " لكنت حافظت على حضارتي قصدي الديمة فهي أكبر من ديمة الإمارات ولكنت تفاخرت بديمتي أمام العالم باعتبارها معلم أثري نادر من العصر الغابر .!!

1- ديمة : غرفة صغير مبنية من الأحجار وبشكل بدائي وتكفي لشخص أو شخصين .

2- محراس قات : غرفة يبنيها مزارعو القات باليمن ليحرسوا بها حقول نبتة القات وهي منبه خفيف وتمضغ في اليمن والحبشة وبعض الدول الإفريقية .

مواطن صالح !

في تلك الليلة هجم علي أرق غريب حاولت النوم بشتى الطرق والوسائل تقلبت في الفراش ، صليت ركعتين وقرأت الأذكار والمعوذات ، غرقت في استغفار متواصل ولكن النوم صار حلما عصي المنال ، يا الله أنا الذي كنت أنام مثل الثور المذبوح خاصمني النوم هذه الليلة ، تساءلت بيني وبين نفسي :

ـ ماذا أكلت ؟

ـ وماذا شربت حتى تغير حالي ؟

وبعد تذكر دقيق لتفاصيل يومي وجدت أني لم آكل أو أشرب ما يمكن أن يسبب لي الأرق .

ومضى الوقت وأنا أفكر وأتساءل فلدي في الصباح ست حصص في المدرسة التي أعمل فيها وقبيل الفجر نمت ولم أستيقظ إلا على قرع مدير المدرسة المتواصل لباب غرفتي لأصحو مذعورا توضأت وصليت الفجر ولبست ثيابي على عجل وخرجت للقاء المدير وقبل أن أعتذر له عن تأخري النادر سبقني بالحديث قائلا :

ـ لست ملزم بالتدريس اليوم لقد صدر أمر بنقلك إلى مدرسة أخرى.

صعقني الخبر واجتاحني شعور بالحزن على فراق هذه المنطقة الرائعة وأهلها وزملائي من المدرسين وتلاميذي ومع هذا فقد صدر القرار وانتهى الأمر وحسبنا الله ونعم الوكيل .

أنا شخص فضولي أحشر أنفي في كل شيء وقد حرضت أبناء المنطقة على انتخاب شيخ جديد بدل هذا الشيخ الذي لم يعمل للمنطقة شيئا سوى ما يجمعه من المواطنين من إتاوات وأموال ويأكلها دون مقابل ، حرضت على الشيخ وجاء الرد سريعا نقلي إلى منطقة أخرى والتخلص مني ، حزمت حقيبتي وجمعت أشيائي وأخذت أوراقي من الإدارة وودعت الزملاء ومن لقيت من التلاميذ في طريقي وغادرت بحزن كبير إلى المنطقة التي سأدرس في مدرستها ، ركبت مع أول سيارة مرت بالطريق ، لقد اجتاحني الحزن ولكنني تماسكت وقلت في نفسي :

ـ ربما أجد المنطقة التي سأذهب إليها أروع من هذه المنطقة ويعوضني الله خيرا في كل شيء ، صحيح ربما ، كل شيء جائز ، وعموما سأضع في بالي أسوء الاحتمالات وربنا يختار لي ما فيه الخير .

ومنذ وصولي إلى تلك القرية النائية في أقصى الريف كان أول شيء أسمعه هو : أحمد حمود ، تردد هذا الاسم كثيرا على ألسنة الناس حتى أنني ظننت أنه الشيخ الأكبر في المنطقة ولكنني علمت أن الشيخ شخص آخر فدفعني الفضول إلى سؤال صاحب البقالة الصغيرة عن أحمد حمود فرمقني بنظرة نارية قائلا :

ـ أعوذ بالله أعوذ بالله .!!

قلت له :

ـ طالما تعوذت من هذا الرجل فيبدو أنه ألعن من الشيطان

رد علي بعد أن تنهد :

ـ نعم ألعن من إبليس أحذر هذا الرجل يا أستاذ .

وجدت المنطقة قريبة من المنطقة الأخرى لكنها تفتقر للخدمات بصورة أكثر والكل يشكو ويحذر من أحمد حمود .!

ـ يا الله من يكون هذا الرجل النحس ؟!!

دفعني فضولي للسؤال عن الرجل وكل من سألته عنه شتمه وحذرني منه ، وعلمت في اليوم التالي أن أحمد حمود أسعف بسيارته رجل لدغه ثعبان بعد منتصف الليل إلى أقرب مركز صحي في المنطقة المجاورة ولو تأخر عن إسعافه لمات الرجل ، فتعجبت كثيرا من قيام هذا الرجل بعمل نبيل كهذا رغم ما يقال عنه ، وبعد بأيام قام أحمد حمود بالصلح بين متخاصمين ولولاه لقامت معركة وسالت الدماء ، هكذا قال مدير المدرسة الذي لا يكف عن شتم أحمد حمود ، وسمعت أحد أبناء القرية يقول : أحمد حمود دفع لأخيه ولعشرة من شباب القرية تكاليف الدراسة بالجامعة في المدينة ، وعلمت فيما بعد أنه رجل ثري له أعمال خيرية كثيرة عكس ما يقال عنه تماما ، وفي ذات مساء قمت بزيارة للرجل الغامض فوجدته شخص بسيط ومتواضع رحب بي وضيفني كأنه يعرفني منذ سنوات ، وجهه يوحي بأنه رجل طيب عكس ما يقال عنه ، لم أصبر كثيرا فقد ذبحني الفضول فقلت له :

ـ لماذا يقول الناس عنك كل هذا الكلام ؟!

ضحك ثم تنهد وقال : أسألهم

ـ سألتهم لم أجد جوابا من أحد

ـ أنا لا أشغل نفسي بما يقولون عني ولا أبحث عن دعاية وليست لي نية للترشح في البرلمان ولا حتى عاقل المنطقة وأنا رجل بعد حالي أقوم بجزء من واجبي لله ولا أريد شكر من أحد ودعوت الله أن يجعل عملي خالص وكامل لوجهه الكريم .

ذهبت إليه باحثا عن جواب وعدت بلا جواب وازدادت حيرتي وذات يوم سألت زميلي المدرس فهو من أبناء المنطقة ويعرفها جيدا ، سألته عن أحمد حمود وطلبت منه الصراحة فقال :

ـ بصراحة أنا أسمع الناس يقولون عنه هكذا وأعتقد انه رجل سيء.

ـ كيف يكون رجل سيء وكل أعماله خيرية ولم أجد له فعل يعاب عليه ، كيف ؟

ـ بصراحة الشيخ قال أنه رجل سيء وطالما قال الشيخ فأكيد هو رجل سيء .

ـ لكن أنتم لكم عقول تحكمون على الرجل من أعماله مش من كلام الشيخ ؟

رد زميلي مستغربا :

ـ هل نحن أعلم به من شيخ المنطقة بكله ؟!

في اليوم التالي ذهبت إلى الشيخ فوجدته يمضغ القات مع مجموعة من الناس تعرف الشيخ علي وسألني عن شيخ منطقتي الذي قال أنه يعرفه وبعد أن أنصرف الناس سألته عن أحمد حمود فأسود وجهه وصرخ في :

ـ ما دخلك أنت بقضايا المنطقة ؟

ـ يا شيخ الرجل له جهود خيرية ويساعد الجميع وأنت قلت أنه رجل سيئ ، بدلا من شكره تشتمونه ؟!!

ـ هو يشتي يتمشيخ (1) على الناس في المنطقة ولذا يحاول يكسب الناس ويحصل على شعبية .

ــ هو لا يشتي يتمشيخ ولا يترشح ولا حاجه من التي في ذهنك .

تهلل وجه الشيخ واستنار وقال :

ــ هو قال لك هكذا ؟

ــ نعم قال لي هذا بعظمة لسانه

ــ تقدر تخرج منه التزام خطي بهذا الكلام وأطلب مني ما شئت .

ذهبت إلى أحمد حمود وطرحت عليه الأمر فكتب بخط يده التزام خطي وبحضور شهود أنه لا يريد مشيخة ولن يترشح للانتخابات وسلمت الورقة للشيخ فطار بها فرحا كأنه نال منصب عمدة لندن !!.

في اليوم الثاني زار الشيخ المدرسة وألقى كلمة في طابور الصباح قال فيها :

أبنائي الطلاب إخواني الآباء الذين يسمعونني أحييكم بالسلام عليكم وأقول لكم : من لا يشكر الناس لا يشكر الله وأخونا أحمد حمود قد تغير عما كان عليه سابقا وأعتدل وله جهود خيرية وأفضال وأنا من هذا المقام أشكره كثيرا وأشكر كل أهل الخير في المنطقة .

بعد خطاب الشيخ بدأت أسمع الناس يشكرون أحمد حمود ويشيدون بجهوده ، لقد أصبح أخيرا مواطن صالح .!!

---

(1) يتمشيخ : يصير شيخا على المنطقة

شجرة الوجع

كنت أيام دراستي بالجامعة أغادر السكن الجامعي كل جمعة لألتقي بأهل قريتنا في منزل أحد أبناء القرية بصنعاء وهناك نعرف أخبار البلاد وأحداثها ، وهناك ألتقيت بزميل دراستي غالب صالح بعد سنوات من تفرقنا فقص علي قصته التي تستحق أن تروى كنموذج لمعاناة شباب تتكرر كثيرا في هذا البلاد ورغم المعاناة التي تجرعها غالب إلا أنه لم يفتقد لروح الطرافة والنكتة والمرح التي عرف بها ، يقول غالب :

لم أعد أحصي عدد السنوات التي عملت فيها أغسل الصحون في المطعم حتى أوفر تكاليف زواجي من سندريلا قريتنا سليلة الحسب والنسب وراعية الغنم التي في رأسها القمل (.....) وكنت كلما جمعت مبلغا لا بأس به يتصل بي والدي ويطلب مني المبلغ فكنت أرسله عبر مصرف الكريمي الذي غزا قريتنا مؤخرا وكنت أظن أن الحاج حفظه الله يجمع الفلوس لعرسي وانتظرت منه اتصال يخبرني فيه بأن كل شيء تمام وعلى ما يرام ولم يبق من لوازم العرس سوى شريط الزفة للفنان أيوب طارش ولكن الحاج باعني كما باعت أحزابنا المناضلة المواطن وصرف مئات الآلاف وهي تحويشة العمر وهو يقاضي عبده قاسم بعد أن اختلفا على ملكية شجرة السدر التي بين أرضنا وأرضه ، وفي النهاية قرر الشيخ بعد أن فكر وقدر أن يسدل الستار على هذه القضية التي دامت لسنوات وجرت الكثير من مرافعاتها في منزله ، يبدو أن الشيخ مل من قصة ألف يوم ويوم وضاق من رؤية والدي وعبده قاسم في منزله كل يوم فصادر الشجرة وقطعها خشب لسقف منزلة الجديد معتبرا هذا العمل حل عبقري ويرضي جميع الأطراف .!!

تفاجئت بغالب كأني عرفت شخص آخر غير غالب الذي عرفناه ضاحكا مرحا فقال لي وهو ينفخ دخان سيجارته ويبوح بقصته الحزينة :

عندما علمت بالقصة وعرفت الحقيقة شعرت بأنني قد هويت في قعر سحيق وذبحت بغير سكين فتركت المطعم وخرجت أمشي ولا أدري إلى أين أذهب وفي شارع الزبيري كادت سيارة أن تصدمني لكني نجوت بأعجوبة منها وأمطرني سائقها بالشتائم وأنا في عالم آخر وضللت أمشي حتى وصلت منطقة الخمسين فوق صنعاء كأنني مجنون يهيم على وجهه ولما وصلت هناك وكانت الساعة العاشرة ليلا شعرت بالبرد ووحشة المكان فعدت أدراجي وقررت أن أصبر حتى يأذن الله برحلة تهريب إلى النرويج فقد علمت أن النساء هناك من الأوربيات الشقر يبحثن عن أزواج والعبد لله لا يريد من الدنيا سوى امرأة وبيت وهكذا عدت للمطعم كما عادت حليمة لعادتها القديمة وبقيت أعزي نفسي بشقراء أوربية لم تأت بعد حتى جاء اليوم الذي وصل فيه أبي من القرية وعلى وجهه علامات الاهتمام والجدية فقلت يبدو أن الوالد يريد أن يسدل الستار عن رحلة عذاب نجله الوحيد بأن يزوجني ويلم شملي بعروسة وفاجئني أبي بقوله :

ـ اسمع يا غالب العلبة التي قطعها الشيخ نبتت من جديد وأريد نقود لأقاضي قاسم عبده من جديد وآخذ حكم شرعي بها فهي لي وهي حقنا وحق أبوك وجدك .

حينها شعرت أن الدنيا أظلمت وتداخلت الألوان في عيني وغبت عن العالم ولم أعد أشعر بعدها بشي ولم أفق إلا عند أول جلسة كهربا والآن بعد أشهر عدت إلى العالم ولكن ببطء شديد .!!

مجنون المحاكم !

في قريتنا التي تنزوي في أعماق ريف إب يعرف الجميع الحاج غالب بعمامته البيضاء المزينة بالمشقر الأخضر والكوت الابيض وثوبه المنقط ببقع الحبر من القلم السائل وكيسه المليء بأوراق وبصائر وأحكام وفروز وبراهين ، لقد بلغ الحاج غالب من العمر أرذله ومع هذا تجده مداوم في محاكم مدينة أب والعدين وبشكل يومي حتى صارت المرافعات أمام المحاكم " الشريعة " عشقه والهواء الذي يتنفسه وصار معروف لدى كل القضاة والمحامون ، كما أنه يعرفهم أكثر مما يعرف أولاده ويعرف منازلهم وأولادهم وأين عملوا وإلى أي محكمة انتقلوا وما هو الحكم الذي صدر في القضية الفلانية ومن القاضي الذي حكم في قضية بني فلان وفي أي جلسة ، يعرف أصحاب القضايا اذ صار على هذا الحال منذ أكثر من نصف قرن .

أسوأ كوابيس الحاج غالب أن تتوقف المحاكم أو حتى تأخذ إجازة حينها يداهمه الفراغ ويقتله الضجر ولا يدري ماذا يصنع ؟!

في الأيام التي تغلق فيها المحاكم يظل في منزله يكلم نفسه وينصب محاكم ومرافعات في خياله ويصدر الأحكام ويحبس المتهمين ويظل يهذي حتى يكاد يصاب بالجنون .!

ويظل على هذا الحال يوما أو يومين ثم يغادر المنزل باحثا عن اي قضية ويظل يتنقل من ديوان شيخ إلى مقيل شيخ آخر ويحاول اختراع قضايا وافتعال مشاكل وإحداث مرافعات لدى المشايخ والعقال وهي حالة مستعصية لرجل عرف المحاكم في مقتبل عمره حيث أرسله أبوه ليترافع في قضية أرض لهم ولأن القضية طالت

وكما يقال " حبال المحاكم طويلة " فقد ظل الرجل لسنوات متفرغا لقضية الأرض تلك وقد اندمج في الدور وانسجم مع الأجواء وتكيف وتسلطن في هذا الجو وصار لا يجيد غيره ولا يتقن سواه وصار بعد ذلك يعمل وكيل شريعة ، يتطوع بالمرافعة لأي شخص ويحشر أنفه في أي قضية ، المهم أن يظل يشارع ويحضر محاكم ومجالس شرائع ويعيش في هذا الجو حتى صارت المرافعات " الشرائع " تجري في دمه ، لقد تزوج وكبر أولاده ودرسوا وتغربوا وتزوجوا وخلفوا وهو يشارع ويعيش في المحاكم حاملا كيسه الممتلئ بالأوراق والبصائر والأحكام ، وحين تغلق المحاكم أبوابها يعود إلى القرية حزينا شارد الذهن ويبيت يحدث أهله عن قضية بني فلان والقاضي الفلاني وذلك المحامي وما حدث في تلك الجلسة وبماذا حكم القاضي في قضية بني فلان وما حصل في الاستئناف دون أن يستمع له أحد .!

في الأيام القليلة التي يقضيها في القرية يظل يدور في الطرقات والأسواق ، يسأل هل هناك شجار قد حدث ؟

أو مشاكل على أرض ؟

أو نزاع حول أرض أو شجرة ؟

وحين يبشره أحدهم بحدوث أمر كهذا في قرية مجاورة يتهلل وجهه وتنفرج اساريره ويسارع كأنه شاب فتي ولسان حاله : فرجت .!

وعلى الفور يتجه إلى مكان النزاع ويحشر أنفه في الموضوع بأي طريقة حتى إن عارضوه وطلبوا منه السكوت وعدم التدخل .

حاول أبناء الحاج غالب مرارا أن يقنعوه بأن يستريح في المنزل وسيوفرون له ما يشاء لكنه رفض ، عرضوا عليه الأموال الطائلة وحاولوا إغراءه بأشياء كثيرة لكنه أخبرهم أن الانقطاع عن

المحاكم والشريعة يعني موته المؤكد وأن سعادته ومتعته في هذا المجال وأنه عاشق للشريعة التي تسري في دمه ولا فائدة من الإلحاح معه لتركها .

ذات مرة أخبره أحدهم بأن بني فلان قد حدثت بينهم خلاف على أرض وتطور إلى عراك ففرخ فرحا شديدا وتحرك يحث الخطى إليهم وفي الطريق أخبره أحدهم بأن أحد العقلاء قد تدخل بينهم وانتهت المشكلة وتم حلها وتم الصلح وعاد كل شخص إلى بيته فغضب غضبا شديدا ورمى بعصاه وكيس الأوراق وهو يصيح : قبح الله وجهه ما صدقنا لقينا قضية نتدخل ونشارع فيها ويقع جلسة ومحكم قام حلها .!!

وظل يتساءل بغضب :

ـ ما هو هذا الآدمي ؟!

ـ الآن وين نروح ؟!

ـ حسبنا الله ونعم الوكيل .!!

منذ سنوات انقطعت أخباره عني وقبل أشهر وجدت أحد أقاربه فسألت عنه فانفجر ضاحكا وأخبرني بما حدث له مؤخرا حيث قررت المحاكم أخذ إجازة بسبب وباء كورونا فعاد إلى القرية ولما لم يجد قضية يتدخل فيها مرض مرضا شديدا وتم اسعافه إلى أحد مستشفيات مدينة اب وجاء أولاده لزيارته فالرجل قد ساءت صحته ويشرف على الموت وعندها أوجد أحد أولاده حيلة طريفة تعيده إلى صحته ونشاطه ، لقد جاء بأشخاص لا يعرفهم والده وافتعلوا ـ بالتنسيق مع الأطباء الذين تفهموا حالته ـ شجارا كبيرا وصياحا قرب مكان رقوده ثم جاءوا إليه لتحكيمه فيما شجر بينهم ووضعوا عنده الشيلان ومفاتيح السيارات ـ العدال ـ وحينها دبت فيه الصحة

وعادت إليه الحيوية وقام من رقدته ورمى بقصبة المغذية صائحا في وجه الممرض :

- روح أنت وحقك المحلول خلونا نحكم بين الناس ونحل القضية .

ثم قام سليما نشيطا ليحكم في تلك القضية الوهمية .!

تمرد مبكر

كنت طفلا في السابعة من عمري عندما قرروا انني يجب ان أذهب إلى الكُتاب " المعلامة " كانت المدرسة الوحيدة في قريتنا لا تزال في طور البناء ، يومها أعطوني لوحا خشبيا معلقا بحبل وكيسا فيه قنينة ماء وخبز وعلبة تونة وبيضة ، وهكذا ساقوني برفقة أخي وأبناء عمي إلى المعلامة حيث عشرات الأطفال يفترشون الأرض ويهزون أجسادهم وهم يقرأون القرآن وسيدنا الفقيه يدور عليهم ملوحا بعصاه الطويلة ويعود إلى كرسيه يحتسي القهوة .

في اليوم الأول كتبوا على لوحي حروف الأبجدية ووجه الفقيه أحد التلاميذ بأن يلقنني الحروف وحفظتها لكن يومي الأول كان طويلا مملا حيث بقيت محبوسا حتى غروب الشمس لا أتحدث إلا بإذن سيدنا ولا أذهب للتبول إلا بإذنه أنا الذي كنت ألهو وألعب طيلة يومي أصبحت بين عشية وضحاها محبوسا بين هذه الجدران التي أختلس النظر من فتحاتها إلى منزلنا فأراه بعيدا مثل تحقيق الحلم فيزاد حزني .

وقبل أن تغرب شمس يومي الأول في الكُتاب ومنا صفا واحدا نردد أسماء سور القرن : الفاتحة ، البقرة ، آل عمران ، النساء المائدة ، الأعراف .. ألخ نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على محمد سيد المرسلين ، وأحفظ اللهم مشايخنا في العلم والدين اللهم آمين .

حينها فقط أذن لنا سيدنا الفقيه بالانصراف فخرجت تغمرني فرحة لا توصف أجري وأصيح كالمعتوه ، وفي المساء حدثت أمي بأنني لا أريد الذهاب إلى الكُتاب فردت علي : لم يبق للدراسة بالمدرسة

إلا شهر واحد وبعدها ستذهب للمدرسة سنشتري لك بذلة جديدة وحقيبة فيها دفاتر وكتب وأقلام وسنشتري لك كرة .... الخ

وبشرتني أمي بأنني لو حفظت جزء من القرآن فإن الفقيه سيكتب لي زينة على اللوح وسأحصل من كل الناس على نقود كثيرة تشجيعا لي لكنني لم أكن أريد النقود ولا الذهاب للفقيه والحبس مع التلاميذ حتى الغروب .

مرت الأيام وأنا أذهب مكرها إلى الفقيه لأحفظ القرآن كانت مدرستنا تكبر وبناءها يرتفع ويظهر للعيان ، ومضت عشرون يوما وأنا في حبس الفقيه حتى حفظت 15 سورة وسمعتها عند مريم التي كانت تحفظ ثلاثة أجزاء من القرآن ، فتاة جميلة تكبرني بعدة أعوام ومن عينيها يتدفق شلال من البراءة والحنان ، أجلس إلى جوارها فتجتاحني الفرحة والسعادة وأتمنى أن أبقى إلى جوارها طيلة يومي في عاطفة طفولية بريئة لم يبق منها سوى الذكرى .

وحين وجدت مريم تلقن أحد الطلاب سورة الزلزلة ثارت الدماء في عروقي وهجمت عليه وألقيته أرضا فاندفع التلاميذ يحولون بيني وبينه وهرع الفقيه وألهب ظهري بعصاه وحينها وقعت الواقعة حيث فررت من بين يديه إلى بعيد ورشقته بالحجارة فسال الدم من رأسه وصاح : أمسكوا هذا الولد المجنون ..

واصلت رشقهم بالحجارة وهددت من يقترب مني بكسر رأسه فلم يجرؤ أحد على الاقتراب مني حتى أخي وأبناء عمي ومريم نفسها وألقيت اللوح جانبا وعدت إلى منزلنا لوحدي وفوجئوا بالبيت بعودتي فأخبرتهم أن الفقيه ضربني وأنني لن أعود إلى الكتاب مهما حدث وفي مجلس عمي العامر بالرجال شكوت من قسوة الفقيه وملل الحبس في الكتاب حتى غروب الشمس وأخبرتهم أنني

سأذهب للمدرسة وسأحفظ القرآن فيها ولأول مرة ينتصر الناس في قريتنا لقضايا الطفولة حيث أجمعوا على عدم ذهابي للفقيه وأن أذهب للمدرسة فهي توشك أن تفتح أبوابها .

فرحت بنيلي حريتي وانزاح عن صدري هم ثقيل ولم أفكر بغير مريم التي سأشتاق إليها وتمنيت أن تلتحق هي الأخرى بالمدرسة وحين وجدتها في أول يوم في المدرسة لم أصدق أنها صارت معي من جديد .

محاولة فاشلة لتقويم ذيل الكلب !

عندما كنت طفلا دفعتني سذاجتي وبراءتي لمحاولة إجراء عملية جراحية لتقويم ذيل الكلب ، كنت أتساءل : لماذا يظل هكذا معوج مثل رأس عصا جدي ؟!

وجاء اليوم الذي قررت فيه تقويم ذيل الكلب بشتى الطرق والوسائل ، أتيت بقصبة وأدخلت ذيل الكلب فيها وربطته بإحكام وبعد عدة أيام أخرجت ذيل الكلب من القصبة معتقدا بأنني سأتنفس الصعداء وأفرح بنجاح العملية التي قمت بها وإذا بذيل الكلب يعود في لحظات معوجا من جديد .!!

يا الله .. لقد فشلت العملية بنسبة 100% لكنني لم أحبط ، جئت بصمغ من النوع القوي وألصقت ذيل الكلب بمسطرة وطليته بالصمغ وبعد أيام أزلت المسطرة وخلال ثواني عاد ذيل الكلب مقوسا لتذهب كل جهودي سدى وكأنك يا بو زيد ما غزيت .!

وظللت بدأب وإصرار مصمما على تقويم ذيل الكلب وسط استغراب من حولي ومحاولتهم إحباطي بل إن أخي الأصغر ضحك علي وأقسم الأيمان المغلظة أن ذيل الكلب عمره ما ينعدل ومستحيل يصبح مستقيم ، فقلت في نفسي : هذا ولد حاقد فاشل يريد إحباط مواهبي وقدراتي العلمية وتجاربي المعملية والأستاذ قال لنا أن أديسون أخترع المصباح الكهربائي بعد ألف تجربة ، أعوذ بالله من العجز والكسل ، وواصلت تجاربي .!

لقد قلت في نفسي : " آخر العلاج الكي " سأكوي ذيل الكلب وأمري إلى الله وجئت بحديدة ووضعتها قرب النار فترة ثم وضعت ذيل الكلب فوق الطاولة وبدأت العملية ولكن الكلب ما إن شعر بحرارة الحديدة حتى قفز نابحا بقوة أفزعتني وبسرعة خاطفة بادرني بعضة قوية جعلتني أصرخ بطول صوتي وأتلوى من شدة الألم كجزاء لي على معروفي وجهودي الطبية البدائية في محاولة تقويم ذيله .!

والحمد لله لم يكن الكلب مسعورا وإلا فإنني سأضطر إلى أخذ 21 حقنة ورقود بالمستشفى ومتاعب وآلام لا حصر لها ..

تصوروا اليوم هناك كثيرون رغم أنهم كبار في السن ويظهر عليهم العقل الوافر إلا أنهم يحاولون دائما تقويم ذيل الكلب دون ان يضحك عليهم أحد ...أما أنا فقد وعيت الدرس .!

موعد مع الخرافة !

قبل 20 عاما وصلت من قريتي في ريف العدين إلى مدينة اب وفي المدينة التي انبهرت بها كقروي استقبلتني الخرافة فور وصولي إليها حيث سلمني أحدهم ورقة فيها رسالة من الشيخ أحمد حامل مفاتيح الحرم مكتوب فيها أنه رأى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في المنام وأخبره بأن يوصي أمته بأمور عدة وإن على كل شخص وصلته الرسالة أن ينسخها 13 مرة وأن من لم ينسخها واهملها يعاقب بعقوبات وحذرني من سلمني الرسالة أنني لو اهملتها سيعاقبني الله ولن أعود إلى قريتي فقلت في نفسي : هذا هو المطلوب ولن أعود إلى قريتي لأرعى الغنم فمزقت الورقة وتهت في شوارع المدينة كقروي ساذج يشاهد لأول مرة عجائب وغرائب المدينة وأيقنت أنني تحررت من رعي الغنم ونلت حريتي وما هي إلا ساعة حتى ألقى أحد أقاربي القبض علي وأعدت إلى القرية رغم أنفي فلا أنا فررت من رعي الغنم ولا تحققت نبوة الشيخ أحمد حامل مفاتيح الحرم.!

قبل أيام وفي مدينة إب سلمني أحدهم ويبدو من منظره أنه شاب متعلم ومثقف نفس الرسالة فلحقت به وسألته من أنت فأخبرني أنه مسؤول في مكتب الثقافة بالمحافظة فزادت دهشتي وقد حملت الورقة وذهبت إلى المسجد وبعد الصلاة سلمت على إمام الجامع وأخبرته بما حدث فأكد لي أن هذه الرسالة محض خرافة وأن الجهلة هم من ينشرونها فاقترحت عليه تنبيه الناس عنها وتحذيرهم من الخرافات وتمزيق هذه الرسالة أمامهم لتحطيم هذه الخرافة في قلوبهم وعقولهم فوعدني بذلك بعد صلاة المغرب حين يصلي أكبر عدد من الناس في الجامع وبالفعل قام إمام الجامع بعد صلاة

المغرب فحمد الله وأثنى عليه وتحدث عن خطورة الخرافات والجهل ونبه الناس على أن الرسالة التي يتداولها البعض باسم الشيخ أحمد حامل مفاتيح الحرم لا صحة لها وأن العلماء قد أصدروا فتاوى عديدة بذلك وحذر منها وقد توقعت منه أن يمزق الورقة لكنه دسها في جيبه وقد انتظرته حتى خرج من الجامع فشكرته على قيامه بواجب النصح للناس وبيان الحقيقة ثم سألته :

ـ لماذا يا شيخنا لم تمزق الورقة أمام الناس كما اتفقنا

فصعقني بجوابه :

ـ لا داعي للمبالغات مش جايز يا ابني يكون الشيخ أحمد حامل مفاتيح الحرم حقيقة وحينها أنال العقوبة ويعزلني مكتب الأوقاف من إمامة الجامع .!!

الصعود إلى القمر

عندما كنت طفلا كانت لي مغامرات طريفة وخارجة عن المألوف أتذكر بعضها الآن وأضحك ، من مغامرتي المضحكة أنني حاولت الصعود إلى القمر ، كنت وبكل براءة طفل عمره سبع سنوات أنظر للقمر كمركب يمكنني لو صعدت لسفح الجبل أن أقفز إلى ظهره عندما يقترب من السفح وأتجول راكبا على ظهره متفرجا على القرى والبيوت من فوق في تجربة رائعة سأتفاخر بها على بقية الأطفال وبعد أن أشبع من التجوال فوق القمر سأنتظر حتى يقترب مرة أخرى من سفح الجبل وأقفز منه للجبل وأعود أدراجي ويا دار ما دخلك شر هكذا قلت لنفسي ولم أضيع وقتا للصعود إلى الجبل الشاهق وركوب القمر ولسان حالي :

ومن يتهيب صعود الجبال ** يعيش يتمنى ركوب القمر

أخبرت أمي فلم تعرني اهتماما بل ربما لم تسمعني جيدا لانشغالها وحدثت بعض الأطفال ففغروا أفواههم دهشة ووعدوني بمشاهدتي وأنا راكب فوق القمر مدلدل رجلي وبالفعل بدأت مغامرتي الفضائية الأولى في الصعود للقمر بصعودي لسفح الجبل بانتظار حلول المساء واقتراب القمر والقفز إلى ظهره والتمتع بركوبه وكأنه حمار جارنا ، وفي طريقي شاهدني بعض الرعاة فسألوني إلى أين أذهب وعندما أخبرتهم لم يستوعبوا ما قلت وعندما شرحت لهم انفجروا بالضحك وأخبروني أن القمر بعيدا جدا ولن أصل إليه ولكني لم أصدقهم قلت لنفسي : هؤلاء يحاربون المواهب ، رعاة جهلة رعاع ومضيت وكلماتهم تتساقط خلف أذني :

ـ الولد هذا جنن

ـ خذ معك بطانية حتى لا تبرد

ـ يعلم الله من خدعه

حل الليل بظلامه وبوحشته وأنا بسفح الجبل المقفر أعزي نفسي بأنني سأتمتع بركوب القمر وأسير معه فوق السحاب ومضى الوقت ثقيلا ولم يقترب مني القمر بل اقترب مني الوحش " الطاهش " (1) الذي أنقذني من أنيابه وصول بعض الأقارب في اللحظة المناسبة بعد أن أخبرهم الرعاة بأنهم رأوني أصعد الجبل كي أركب على القمر .

عندما أراد أقاربي العودة بي أخبرتهم برغبتي التاريخية وإرادتي الفولاذية بالصعود للقمر ولن أتزحزح ولن أتراجع دون تحقيق هدفي حتى لو جاء ألف طاهش وعبثا حاولوا إقناعي بأن القمر بعيد جدا ولن أصل إليه مهما فعلت ولكني كنت أعتقد أنهم يحاربون فكرتي ويحطمون حلمي وبعد شد وجذب وتصميم من قبل العبد لله انتظروا حتى انتصف الليل ومر القمر من فوقنا مرتفعا فاقتنعت بأنه لا يمكن الصعود إلى سطح القمر .

ولو أنهم يومها صفعوني وانهالوا علي بالضرب وسحبوني من رجلي بالقوة لوفروا على أنفسهم وعلي التعب والبرد والمعاناة بسفح جبل شاهق ولكنهم صبروا علي حتى اقتنعت فعلا بأن القمر بعيد وحينها عدت أجر أذيال الخيبة والفشل لأول مغامرة فضائية لي وتحطم حلمي بالوصول إلى سطح القمر كما تحطم حلم عباس بن فرناس في الطيران رغم أن كلبة بنت كلب قد سبقتني بالوصول إلى القمر قبل عقود من الزمان .!!

---

(1) الطاهش : حيوان مفترس في اليمن

رجل من أهل الكهف !

كنت أحد الزائرين لمعرض الكتاب الأخير في أكسبو صنعاء وقد ذهب معي أحد الأكاديميين ولاحظت أن هناك إقبالا شعبيا كبيرا وزحاما شديداً على موقف السيارات حتى أن سائق السيارة بعد أن لف ودار عدة مرات باحثا عن موقف قال مازحا: يبدو أن الشعب اليمني قد صار شعبا مثقفا ولدينا علم وثقافة لكننا لا نطبقها في أرض الواقع. !

وحدث لنا في معرض الكتاب موقف طريف وله دلالاته فأثناء مرورنا بأحد دور الكتب المصرية ألح البائع علينا بالشراء فلم نشتري فأخذ أحد كتب الطبخ وعرضها على صاحبنا الأكاديمي فلم ينظر لها فأخذ كتابا عن التجميل وقال لصاحبنا مرغبا له بالشراء : هذا كتاب تجميل نادر سيجعل زوجتك أجمل من هيفاء وهبي فالتفت صاحبنا مستغربا وسأله : من هذه هيفاء وهبي؟

عندها صعق البائع ونظر نحوي وصاح مستغربا:

ـ والنبي صاحبك ده ما يعرفش هيفاء وهبي ؟!!

قلت له مازحاً : هو يعرفها لكنه يمزح معاك

فصاح صاحبنا: والله ما أعرفها ولا قد سمعت بها لماذا تكذب عليه؟!

حينها جن جنون بائع الكتب المصري وصاح بأعلى صوته : ألحقونا يا ناس ، يا عالم ، أحضرونا يا خلق الله ، حد ما يعرفش هيفاء وهبي في زمن ده إحنا فين؟!!

إحنا في كوكب آخر !

هي الدنيا جرى لها إيه القيامة حتقوم القيامة حتقوم بكره والله؟!!

وعملها صاحبنا المصري هليلة وضجة وتجمع من حولنا الكثير من الناس وكل هذا لأن العالم الذي رافقته لا يعرف هيفاء وهبي وهي الحقيقة فالرجل شبه معزول عن العالم وغارق في كتبه وأبحاثه وحياته كلها من البيت للجامعة ومن الجامعة للبيت ، لا يشاهد التلفاز ولا يقرأ الصحف ولم يسمع في حياته بهيفاء ولا بنانسي ولا بشيء من عالم الفن والسياسة وغيرها وهو يرى أن هذه شواغل دنيوية لا جدوى منها.

تجمع الناس حولنا متعجبين فقال المصري : هيفاء وهبي حسناء العرب ألم تسمع بها ؟!

يا راجل حرام عليك أنت عايش فين؟!!

قال صاحبنا : خنساء العرب التي رثت أخوها صخر سمعت بها هذه مشهورة .

صاح الشاب المصري : بقولك هيفاء تقولي خنساء مين الخنساء دي؟!

بعدها فوجئت بالشاب المصري يسكت عن الصياح ويتقدم ويقبل رأس صاحبنا ويعتذر له ويخرج كاميرا ديجيتال ويقف بجوار صاحبنا الأكاديمي ويعطيني الكاميرا طالبا أن أصوره فالتقطت لهما صورة وبعدها سأل الشاب المصري صاحبنا بلطف وخفة : هم الثمانية الباقيين فين وكمان الكلب راح فين؟!!

رد صاحبنا مستغرباً : أي كلب ومن تقصد بالثمانية ؟!!

فأجابه : الثمانية أصحابك والكلب ألستم أنتم أصحاب الكهف ثم بعثتم من جديد !!

وواصل تساؤلاته :

ـ وإلا أنت جاي من كوكب المشتري ، ما تشتري حاجة من عندنا مادام انت جاي من المشتري؟!!

عدت من معرض الكتاب وأنا أفكر في هذا الوضع الذي أوجده لنا الإعلام الذي أنحرف عن وظيفته الأساسية فبدلاً من التوعية والتثقيف والترفيه الهادف وإيصال رسالة جادة جعل من المطربين والممثلين ولاعبي كرة القدم نجوم المجتمع وجعل من لا يعرفهم شخصا غريبا كأنه قادم كوكب آخر .!!

سائح يبحث عن خاطف !

لم يكن الإيطالي "كيث دايل" يعلم ما تخبئه له الأقدار عندما وقف مبهوراً أمام جناح اليمن في معرض دولي بروما ، صوراً متنوعة لمعالم أثرية يمنية تعود لعصور غابرة تبدو مكتظة بالسياح من كل العالم وشاشة تلفزيونية تبث شهادات لسائحون يتحدثون عن جمال اليمن وثراءها التاريخي وروعة معالمها الأثرية وكرم أهلها مع الأجانب مصحوبة برقصات فلكلوية يمنية وعادات وتقاليد غريبة في اليمن ، هذا البلد الذي يسمع به على الإطلاق ولم يرى هذا العالم الغريب الذي أكتشفه ذلك اليوم حتى في الأفلام ، دفع به فضوله كصحفي تحت التدريب لأن يقرر أن كريستوفر كولمبس الإيطالي ويسافر لاكتشاف اليمن وقضاء إجازته هناك .

في البداية نصحه مدربه الصحفي المتابع لأخبار الشرق الأوسط بعدم السفر إلى اليمن بسبب تزايد حالات اختطاف الأجانب وهذه النصيحة جاءت نتيجتها عكسية وزادته إصرارا وأعطت لسفره طابع المغامرة وكما يقول المثل اليمني " مجنون وزادوا أعطوه سلاح " !

صمم كيث دايل وركب رأسه وسافر إلى اليمن وكنا حينها في أواخر التسعينات .

في بادئ الأمر لم يشاهد كيث اليمن كما توقعها ولا كما شاهدها في البرنامج الوثائقي حتى انه شعر بخيبة أمل ويا فرحة ما تمت " لقد أصبحت اللقية سود " لا اليمن كأمريكا ولا هو ككريستوفر كولمبس ، لقد داهمه الملل وشرع يفكر بالعودة في أقرب وقت .

في اليوم التالي حدث ما لم يكن يتوقعه لقد أصبح " كيث " ضيفاً رغم أنفه لدى إحدى القبائل اليمنية التي أكرمته كرما جعله ينسى أنه مخطوفاً لدى قبيلة يطالب شيخها الدولة بالإفراج عن نجله المعتقل في صنعاء ومليون دولار فديه حتى يطلق سراحه .

حادثة اختطاف " كيث " تصدرت الأخبار في إيطاليا وشغلت اهتمام السلطة في اليمن وسجلها الدكتور محمد الظاهري في كتابه " المجتمع والدولة " كدليل على حفاوة اليمني بالأجنبي وإكرامه ولو باختطافه رغم أنفه .

وبعد أسابيع قضاها كيث معززاً مكرما في القبيلة اليمنية تم تسليمه للسفارة الإيطالية بعد مفاوضات مضنية مع السلطة التي أفرجت عن نجل الشيخ المعتقل والتزمت بضمانة شيخ آخر بدفع المليون الدولار للشيخ بالتقسيط غير المريح وتخصيص منحه دراسية بالخارج لنجله المفرج عنه .!!

كيث عاش تجربة رائعة وممتعة وقضى أياماً مثيرة تعرف فيها عن قرب على العادات والتقاليد اليمنية وذاق الكرم اليمني على أصوله فقد كان خاطفوه يذبحون له كل خروف (يا بختة) ويقدمون له أفضل الطعام (أرزاق وحظوظ ما نفعل ؟!) وإن تظاهر بالقلق تجمعوا حوله وقاموا برقصات فلكلوية شعبية لتسليته , لقد جاءوا له بمترجم ودفعوا له أجرا بالدولار وحكوا له الحكايات وقصوا عليه السير الشعبية وعند سفره أمطروه بوابل من الهدايا الثمينة ، خناجر تقليدية ، وبنادق قديمة ، وتحف من التراث اليمني ، وحلي نساء وعاد كيث لبلده "واثق الخطوة يمشي ملكا " تسبقه أخباره لقد نال شهرة لم يكن يتوقعها ، ولدى وصوله المطار أستقبله عمدة روما شخصياً ورفض كيث إجراء حوار موسع لوسائل الإعلام لكنه أشار إلى انه بصحة جيدة وأن الخاطفون عاملوه بكرم بالغ

وحفاوة منقطعة النظير وأفصح للصحفيين بالمطار ـ مازحا ـ عن أمنيته أن يتم تنظيم رحلات خطف إلى اليمن .!

وفتح لكيث باب رزق لم يخطر له على بال فقد تم ترقيته ودفعت الصحيفة له مبلغاً ضخماً مقابل قيامه بكتابه ما حدث له في اليمن على شكل قصة مثيرة تنفرد بنشرها الصحيفة فقام بكتابة قصته بشكل أثار القراء فارتفعت مبيعات الصحيفة بشكل خيالي ثم توسع الأمر لدى كيث الذي ألف كتاباً بعنوان " كنت مخطوفاً باليمن" والذي حقق مبيعات قياسية في عموم أوربا .

بعد حادثة اختطاف كيث لم أحين حينها سوف أستغرب إن قرأت في بعض الصحف إعلانا من سائح أجنبي يبحث عن خاطف محلي ومستعد لتقديم تنازلات مثل: سنرضى بخروف واحد كل يومين بدلا من خروف في كل يوم ، مستعدون للنتازل عن المياه المعدنية وحلي النساء عند السفر .!!

غراميات ابن الجيران

إذا كان الأمريكي نيل أرمسترنج هو أول من وصل إلى سطح القمر فإن لقمان ابن الجيران هو أول أخترق حدود قريتنا الصغيرة في ريف إب ووصل إلى تعز ، فوجئنا بخبر سفره في الإجازة الصيفية فافتقدنا نحن الأطفال هداف فريق القرية الرياضي وأكلت الغيرة قلوبنا " فعلها لقمان يا بختة " هكذا كنا نردد ونتمنى أن نكون مكانه فقد سافر إلى تعز دفعة واحدة ونحن المحظوظ منا من وصل إلى سوق الربوع ، أما عبده أحمد الذي سافر مرة مع أبوه إلى مدينة العدين فقد ظل لأسابيع يروي لنا عجائب المدينة وغرائبها وكأنه ابن بطوطه ، إنها قفزة نوعية قفزها لقمان وترك لنا الحقد عليه وملاحقة الغنم في المراعي والأدهى والأمر أن يعود لقمان بعد ثلاثة أشهر ليحرق قلوبنا مرة أخرى بالبذلة التي يلبسها والساعة التي في يده وقصة العشق الرومانسية التي عاشها في مدينة تعز .

أغمض لقمان عينيه بعد أن تركنا الكرة وتحلقنا حوله وفعلها وباح لنا بسره الكبير ، وروى لنا قصة البنت التي عشقها في تعز .

ـ هل ستصدقون إذا قلت لكم أن في تعز بنت حلوة مثل القمر تحبني ؟

ـ لا مش معقول قل لنا كيف ؟

ـ كانت تأتي للبقالة تشتري جعالة ؟

ـ ما هي الجعالة ؟!

ـ الجعالة يعني بسكويت وشوكولاتة وتسالي وحلويات الأطفال

ـ أيوه وبعدين ؟

ـ في مرة جاءت وهي لابسة ملابس حلوة وشعرها منسكب كأنه شلال أسود فقلت لها " شعرك حلو مثل شعر الحمارة "

قاطعناه ـ هاه وإيش قالت لك ؟

ـ لن تصدقوا ما قلت لي

ـ قول والله أنك ستقول

ـ قالت لي إن شعري حلو مثل شعر الحمار

ـ واو ولقمااااان ما هذه الرومانسية يا بختك يا بختك !

وسألته بجديه ـ يعني لما تقل لك إن شعرك مثل شعر الحمار تحبك ؟

يعني عندهم لما الواحدة لما تحب واحد تقل له : إن شعره مثل شعر الحمار ؟

ـ أنت تشوف الحمار وإلا لا ؟!

ـ أشوفه دائما بس ما ركزت على شعره

ـ لو ركزت على الحمار ستجد شعره منسكب وسلس وحلو جدا والمهم إن البنت تحبني وتعشقني وقالت لي : " يا عديني يا سرك "

ـ قالت لك " يا عديني يا سرك " أكيد تحبك ما معنى الكلمة هذه ؟

ـ مش عارف بس أكيد معناها حلو يعني إنها تحبني .

طلب منا لقمان أن لا نذيع قصة عشقه حتى لا يحسده الناس ويضربه أبوه إن علم بالأمر بعد أن فسق لقمان وعشق وتمرد على تقاليد العائلة وعندما عدت في المساء لم أستطع كتمان سر لقمان

فرويت القصة لأخي الأكبر فضحك كثيرا ولم أعرف حينها لماذا ضحك أخي على السخافة التي احتفلنا بها لكني كل ما أتذكره أنني بت في تلك الليلة وأنا أحلم أن أكون مكان لقمان فهو لم يصل تعز فحسب بل لقد عشقته بنت من المدينة وقالت له : " يا عديني يا سرك " .!!

الكابوس

كنا 11 مخالفا تم تجميعنا في هذه الورشة البعيدة عن الأحياء السكنية بانتظار العقاب حيث قيدونا بسلاسل حديدية صدئة مغروسة في الأرض وكان علينا أن نموت رعبا قبل عقابنا المجهول فانتظار العقاب اشد من وقوعه .

ـ ماذا سيفعلون بنا ؟!

كان هذا هو السؤال الذي يلتف حولنا كثعبان مخيف ولم نجد له إجابة وفي الخارج كانت الرياح تصفر والظلام يلف المكان فنحن كما يبدو في منتصف الليل وصوت نباح كلاب يأتي من بعيد ليؤكد أننا صرنا في منطقة نائية وأن من جاؤوا بنا إلى هنا سيتفنون في عقابنا بعيدا عن اي نجدة حتى ان صرخنا بكل قوة فلن يسمعنا أحد ، لكنهم تركونا ومضوا وكأنهم قد نسونا هنا لنواجه المجهول ومر الوقت بطيئا وكأننا في يوم القيامة لا نطلب سوى اللطف والرحمة وفصل القضاء ، العرق يتصبب من اجسادنا ، وجوهنا شاحبة قد ملئت رعبا وحالنا يستدر الرثاء ويستثير الاشفاق .

وبعد مضي ساعات كأنها سنوات عجاف سمعنا صوت الباب يفتح وخطوات شخص قادم نحونا يمشي ببطء كأنه يجر خلفه شاحنة ، لم نتبين ملامحه جيدا في الظلام لكنه كان ضخم الجثة تهتز الأرض من تحته ، كأنه مصارع أمريكي وبيده هراوة كفيلة بتحطيم الواحد منا بضربة واحدة ، اقترب من الشخص الأول وضربه بقوة فصرخ وابتلعته الأرض وكتمت صراخه إلى الأبد ، وحينها دارت بي الدنيا وسقطت على الأرض مغشيا علي وفي أذني طنين وفي قلبي رعب السنين وجسدي محطم كأنه نملة داسها جنود سليمان أجمعين ولم أدر أطال الوقت أم قصر إلا انهم أوقفوني من جديد لأواجه مصيري المحتوم .

أوقفوني فتماسكت ولكني لم أجد ذلك الكائن المخيف حولي فابتلعت ريقي وتساءلت عن مصير رفاقي العشرة وهل دفنهم ذلك المارد في أماكنهم بضربة من هراوته الضخمة ؟

تحسست جسدي فوجدت أنهم قد فكوا تلك السلاسل التي كانت تقيدني ثم مضوا ، لم يخبروني أنهم عفوا عني أو خففوا عقابي أو تركوني لأفر ، لقد تركوني بصمت فحاولت الهرب لكن خطواتي كانت ثقيلة من هول ما عانيته في ليلتي التي لا تنسى وحاولت ان اسرع في المشي وان أفر هاربا من ذلك المكان الموحش وانجو بجلدي وبالفعل غادرت تلك الورشة الكبيرة فوجدت ما حولي منطقة مقفرة فمضيت أهيم على وجهي ، وبعد ساعة من المشي رأيت أضواء بعيدة فسرت نحوها لكنها كانت تبتعد عني كلما حسبت أنني قد اقتربت منها ، ولاح لي القمر في السماء من خلف غيوم كثيفة فتبين أنني في صحراء مترامية الأطراف فجعلت أجري باتجاه تلك الأضواء التي تبتعد هي الأخرى ، كنت أجري والتفت خلفي فلا أجد إلا صحراء .

وتساءلت :

ـ يا الله أين أنا ؟

ـ هل أنا بالربع الخالي ؟

ـ ومتى سأصل إلى منطقة فيها حياة أو ناس ؟

وواصلت المسير رغم التعب والإجهاد والعطش وفجأة بدأت أقدامي تغوص في الأرض وبدأت أغرق في تلك الرمال وحاولت الخروج ولكن دون جدوى وكلما حاولت الخروج غرقت أكثر حتى وصلت الرمال إلى حلقي فصرخت بأعلى صوتي وصحوت من نومي على ابشع كابوس عشته في حياتي بعد أن قررت قطع القات لأتعذب بكابوس مخيف جرجرني إلى ورش وصحاري ونكل بي في فيلم رعب لن أنساه ما حييت .!!

طلاب آخر زمن !

قبل سنوات في إحدى زيارتي لقريتي النائية والمنزوية في أعماق ريف إب كانت زيارة المدرسة الجديدة في قريتنا تمثل هدفاً استراتيجيا بالنسبة لي وفي ظل حائط المدرسة القديمة والتي لا تبعد سوى عشرات أمتار عن المبنى الجديد جلست مع مدير المدرسة الذي كان ينفث دخان سيجارته ويشكو لي بجدية من نقص المدرسين وتأخر وصول المنهج الدراسي وتأخر الآباء عن دفع الرسوم ويعدد لي مشاكل المدرسة وكأنني مسؤول كبير سوف يحل مشاكل المدرسة بجرة قلم .!

ـ أنت صحفي وإذا عدت إلى المدينة أكتب عما رأيت وطالب المسؤولين بأن يهتموا بهذه المدرسة .

وعدته بذلك لكنه ثم ختم شكواه برجاء أن أساهم خلال فترة وجودي بالقرية في حل هذه المشكلة بتغطية بعض الحصص الشاغرة وخصوصاً في الصف السابع فوافقت على مضض محرجاً أخاك لا بطل .

وعندما اقتربت من الفصل السابع أدركت سر إغلاق المدير لباب هذا الفصل من الخارج ، فقد كانت معارك " داحس والغبراء " تدور رحاها في الداخل حامية الوطيس وقد جذبتني هذه المفاجأة لخوض غمار التجربة واقتحام المعركة واختبار مهاراتي وقدراتي العلمية ، قويت قلبي حينها وتوكلت على الله وفتحت الباب ودخلت فلم يعرني أحد اهتماماً كانت الحرب متواصلة وعلى كل الجبهات ، البعض من التلاميذ في النوافذ وآخرون يلتهمون الطعام وبعضهم يبيعون أياء لزملائهم كأننا في سوق الخميس ... و... الخ.

حاولت أن أضبط الفصل وأطفئ نيران الحرب المشتعلة وأفرض الهدوء ونجحت إلى حد كبير في ذلك حين أعلنت عن قصة غريبة وحكاية عجيبة سأرويها لهم ومسابقة هي عبارة عن أسئلة ذكاء وجوائز .

وعندما بدأت في سرد القصة رفع أحد الطلاب الجالسين في نهاية الصف يده وطلب مني أن أسمح له بإرسال أحد الطلاب للبقالة ليشتري له ماء وبيبسي وقد دهشت لهذا الطلب الغريب وسرعان ما اكتشفت أن هذا الطالب مع ثلاثة من زملائه كانوا " مفذحين " (1) يمضغون القات بكمية ضئيلة وقد هالني الأمر وحينها أدركت سر هدوء هؤلاء الطلاب وشرودهم فقد كانوا في بداية الساعة السليمانية مطننين وعندما عاتبتهم على مضغ القات في الفصل رد علي أحدهم ببساطة وبرود : الدنيا صيف والقات موجود إيش فيها !!؟

وأضاف : وبعدين إحنا لما نفذح سنركز معك في القصة .

بعدها أكملت الحصة برواية القصة وأمليت عليهم أسئلة ذكاء ووعدتهم بجوائز وخرجت وأنا أترحم على زماننا نحن حين كنا نرى المدرس ونرتعد خوفاً ونقف له تبجيلاً واحتراماً .

ولأن الشيء بالشيء يذكر فقد ذهبت إلى مدينة عمران وفي إحدى ضواحيها حيث كان لي زميل يعمل مدرسا في إحدى المدارس وأثناء زيارتي له طلب مني زيارة المدرسة وكان يريدني أن أخرج بصورة عن التعليم والوضع الذي وصل إليه لعلي أعود صنعاء وأكتب في الصحف عن واقع التعليم لعل وعسى تتحرك الضمائر لإنقاذه ، وفي الفصل أخبر الطلاب أنني مدرس جديد لهم ودخلت الفصل فوجدته أشبه بسوق فيه القائم والقاعد والذين جلسوا في

النوافذ والذين يأكلون والذين يتحدثون كأنهم في ديوان شيخ والذين يلعبون وقد حاولت أن أضبط الفصل أو أسيطر على الموقف ولكن دون جدوى فصرخت فيهم وقلت لهم معي لكم قصة عجيبة سأقصها عليكم وبعدها تسوقوا براحتكم وهنا نجحت حيلتي فنزل الذين كانوا في النوافذ وأجتمع شمل الفصل وسكت المتحدث وجلس الواقف وبدأت أروي لهم بأسلوب مشوق قصص ومواقف وأحداث من زمن الصحابة إلى أيامنا وأطعمها ببعض الطرائف والنوادر ومضت الحصة وهممت بالمغادرة فقفز منهم الأربعة الأكبر جسما فيهم وأغلقوا الباب وصاحوا : " يمين ما تدي نطة لوما يأذن ظهر يا الله كودنا لقينا مجبر حالي وقصص باهرات تقوم ترح لك " وهكذا قصصت لهم مكرها حتى أذان الظهر وبعدها وفوا بوعدهم وأطلقوا سراحي .!!

أنا لا أنكر أننا كنا أيام الدراسة أشقياء وأن أسعد لحظاتنا كانت حين يأذن لنا المدرس بالانصراف ويمضي من الفصل نتدافع على الخروج وكأن قنبلة ستنفجر في آخر الصف ، كنا نخرج ننشد فرحاً ونركض كالمعتوهين ومع هذا كنا نحترم المدرس أو بالأصح نخافه ونهابه ونكتب الواجبات ولا نتأخر عن الطابور ونلتزم بالنظافة والنظام.

أما اليوم فقطاع التعليم بحاجة لثورة مخصصة له ولوحده وأحسن المدرسين حظاً من يعود إلى منزله سليماً معافى وبلا إصابات وجراح !!

---

(1) ـ مفذحين ـ يمضغون القات في الصباح

مجنون ماردونا

عندما ذهبت لزيارة أحد أقاربي في صنعاء لم أكن أتخيل ما الذي سيحدث لي ، أعرف عن قريبي هذا أنه من كبار مشجعي الرياضة ومن الذين يعشقون الرياضة إلى درجة الجنون ومرحلة الهوس لكن الذي حدث كان فوق مستوى تخيلي وقد شاءت الأقدار أن تكون زيارتي له في يوم حدث رياضي شهير وهو يوم اعتزال النجم العالمي الشهير " ماردونا " ، كانت القنوات الرياضية تبث حفل الاعتزال بحزن يقطع القلب وكان قريبي من أشد عشاق ماردونا فتابع الحفل بكل حواسه وهو غير مصدق ما يحدث وفوجئت به ينهار باكيا ويسقط في وسط الديوان وهو يجهش باكيا ويخبط صدره وأخذ الشال وبدأ يخنق نفسه ، لقد شرع في الانتحار فعلا فارتبكت وحاولت أن أوقفه عن الانتحار ولكن دون جدوى ولم أجد حيلة لأنقذ هذا المجنون سوى أن أصرخ بأعلى صوتي : لا تصدق هذا الكذب ، هذا جنون ، هذا مستحيل ، هذا كلام فاضي .

فتوقف عن خنق نفسه ونظر نحوي مندهشا فواصلت صراخي وكلي ثقة " ماردونا لن يترك الرياضة ، الكرة تجري في دمه وأنا على ثقة أنه لن يعتزل الرياضة وأراهن على ذلك ، كل ما في الأمر أن محبوب الجماهير عندما وجد أن الجماهير تناسته أراد أن يلفت إليه الأنظار فقط لا غير .

واصلت حديثي بجدية :

ـ أنت لا تدرك نفسية هذا الرجل ، هذا الإنسان الرياضة عشقه وهواه الذي يتنفسه ولن يقطع أنفاسه بيده ، صدقني سيعود ماردونا

للرياضة وستعود تلك الأيام الزاهرة التي كان يمتعنا فيها بأهدافه الأسطورية التي لا نظير لها وتسديداته الرائعة .

وبعد هذه الخطبة الحماسية من قبلي توقف صاحبي عن خنق نفسه ومسح دموعه وغسل وجهه وأنزاح عن صدره جبل من الغم وسر سرورا ورأيت في وجهه فرحة من فاز بيانصيب المليون دولار ، فرحة لا أنساها ما حييت .

قال لي : هل أنت متأكد يا أستاذ محمد ؟!

فقلت :

ـ نعم والأيام بيننا وسأثبت لك ذلك بنفسي والله على ما أقول شهيد .

وحينها فرح فرحا شديدا وأمطرني بوابل من الشكر والثناء ، ثم دعاني للعشاء في أحد المطاعم الفاخرة وأغرقني بهدايا ثمينة وعدت للبيت وأنا في غاية السعادة ، لقد أنقذت نفسا من موت محقق .

الشيخ والمسؤول

في أواخر التسعينات أراد أحد المدراء الجدد بمؤسسة الكهرباء في صنعاء ذات صباح أن يخرج بنفسه مع الموظفين المختصين بالفصل وأن يقطع التيار الكهربائي عن كل الذين لم يسددوا الفواتير مهما كانت مراكزهم أو مناصبهم أو موقعهم في المجتمع .

تمتم وهو يحدث نفسه ويصعد السيارة : القانون قانون والنظام نظام ، وبدأ فعلا بقطع التيار عن خمسه من المتأخرين في السداد ثم نظر للكشف فوجد اسم شيخ من العيار الثقيل يرفض دائما تسديد فواتير الكهرباء ولا يجرؤ أي موظف بالكهرباء على الاقتراب من منزله المدجج بالعسكر فقال للموظف الذي يرافقه : تحرك وانزل اقطع التيار عن الشيخ الفلاني ، لم يتحرك الموظف وتظاهر بأنه لم يسمع شيئا فكرر المدير أوامره فرفض الموظف الأوامر قائلا: إلى هنا مهمتي انتهت إذا تريد تفصل عليه أفصل عليه أنت وتركه وذهب رغم صياح المدير ووعيده .

طلب المدير من السائق أن يساعده وينزل السلم فرفض هو الآخر ناصحا إياه أن يتقرص العافية ويدعهم يذهبون سالمين لأن عساكر الشيخ سيطلقون عليه النار فورا لو حاول أن يقطع السلك من العمود المجاور لمنزل الشيخ ولكنه لم يستمع للنصائح وأنزل السلالم ووضعها على العمود وبينما هو يصعد السلالم لمحه أحد عسكر الشيخ فصاح به أن ينزل وحذره لكنه لم يبالي به فأطلق الحارس عليه النار فلم تصبه الرصاصة لكنه سقط مغشياً عليه فجاء العسكر فأخذوه مع الموظف السائق والسيارة إلى الداخل واتصلوا بأحد أولاد الشيخ فأمر بحبسه في غرفة الخراف حتى ينظر في أمره متى وجد فرصة وعندما فاق المدير وتأكدوا من

سلامته أدخل مع السائق إلى غرفة الخراف ، وتم أخذ العسكر السيارة ليحملوا عليها علف وبرسيم للخرفان ، لبث المدير وسائقه عشية وضحاها في غرفة الخراف كانت عليهم كأنها سبع سنين عجاف وفي صباح اليوم التالي توسل المدير من أحد العسكر أن يعطيه هاتفه ليطمئن أولاده بأنه بخير فرق العسكري لحاله وأعطاه الهاتف فتمالك صاحبنا نفسه وأتصل بزوجته وأخبرها بأنه أنشغل في العمل وحاول أن يختلق لها الأعذار فلم يستطع فأجهش باكيا وروى لها ما حدث فوجهته للاتصال بالإدارة وبالفعل أتصل بالمدير العام في المنطقة وروى له ما حدث فوبخه المدير وشتمه وأمره أن يخبرهم بأنه تصرف من تلقاء نفسه ناصحا إياه أن يكتب رسالة استعطاف لابن الشيخ حتى يخرجه من غرفة الخراف وبعدها يكون خير قائلا :

ـ أنا لا أستطيع اعمل شيئا هذا الشيخ فلان كيف تقطع عليه الكهرباء ؟!!

وبالفعل كتب المدير رسالة استعطاف ومناشده بحق القبيلة وبجاه الشيخ بإخراجه من الغرفة الحقيرة وقد رحمه الشيخ الصغير وأخرجه إلى غرفة راقية جدا مقارنة بغرفة الخراف وحينها اتصل المدير بصهره فجاء من تعز وأعاد أهله وأطفاله إلى تعز وسلم البيت للمؤجر وأستمر به الحال مع السائق شهرين حتى عاد الشيخ من الخارج وكتب رسالة حامية للمنطقة طالبا تحكيمه بثور و10 بنادق آلي روسي جديد مقابل الإفراج عن المدير والسائق وأن تبقى السيارة لنقل العلف والبرسيم للكباش وتم له ما أراد وخرج المدير والسائق ليقدما استقالتهم من العمل بالكهرباء وهو الآن يعمل سائق تاكسي أجرة لدى إحدى شركات تاكسي الأجرة وقد روى لي بنفسه هذه القصة وسمعتها من غيره .

من بلاد الحبيبة !

كنا بالسودان وكان جارنا رجل الأعمال السوداني زيد دينار يغمرنا بكرمه فهو يستضيفنا دائما ويكرم كل اليمنيين في الحي الذي نسكنه ويحبهم ويقدم لهم كل الخدمات وبشكل ملفت للنظر وكان هذا مشهور عنه وذات يوم كنت اتجاذب أطراف الحديث على ضفاف النيل فقلت له : الشعب السوداني يحب اليمنيين هذا أمر معروف عنه لكن أنت تحب اليمنيين وتكرمهم بشكل ملفت للنظر إيه الحكاية يا زول ؟!

فضحك فقال مازحا : يا زول " لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم " فزاد حديثه الغامض من فضولي وكنت كلما لقيته وسألته : إيه الحكاية يا زول ؟!

يجيبني بنفس الجواب فزدت من إلحاحي عليه فقال : هناك قصة طريفة سأخبرك عنها ذات يوم.

وفي أصيل ذات يوم والحر الخانق يلفح الأجواء وصوت أغاني عبد الكريم الكابلي تصدح من مذياع الجيران أصغي إليها فلا أفهم منها شيئا ، فتحت النافذة فرأيت زيد دينار يحتسي الشاي على كرسي في ضفاف النيل فتركت الكتاب الذي بيدي وذهبت إليه وبقينا نتجاذب أطراف الحديث فذكرته بالقصة فقال لي : أحببت فتاة يمنية في شبابي وكانت أول حب وآخر حب في حياتي ومن يومها وأنا أحب كل اليمنيين !

اندهشت من حديثه وشعرت بالخجل وتمنيت أنني لم أسأله ، لقد غمرني إحساس بأنه قد أعترف لي انه كان يحب أختي ، ثم تمالكت

نفسي وقلت في نفسي : هذه أمور قد تحدث والقلوب تتقلب والهوى سلطان قد يصيب قلوبا كثيرة ..

ثم سألته : هل تزوجتها ؟

قال : لم أتزوجها ولم ألتق بها من قريب ، لقد كنت طالبا في جامعة صنعاء وأسكن بجوار منزلهم وكنت أراها من بعيد وأمني نفسي بها ولكنها كانت بالنسبة لي مثل بنت السلطان وأنا مثل ابن خادم السلطان لم أكن في مستواهم ، كانوا من عائلة ثرية ولكن فيها تواضع ، لقد كانت تعطف علي وترسل لي الطعام مع أخيها الصغير وتزودني بالكعك ربما شفقة ومعروف وكنت عاجزا عن تقديم أي شيء لها سوى الشكر فقلت في نفسي :

ـ لو تبدل حالي وفتح الله علي سوف أبذل كل ما استطيع لخطبتها والزواج بها وانزالها في قصر يليق بها ولما فتح الله علي وجاءتني الأموال سافرت إلى صنعاء وزرت والدها وجئتهم بالهدايا فلم يعرفوني وقلت لهم :

ـ أنا الطالب السوداني الذي كان يسكن بجواركم قبل سنوات عديدة فتذكروني وغمروني بكرم يفوق الوصف وسألت عنها فأخبرني والدها انها قد تزوجت وأن لديها 3 أطفال فأرسلت لها بالهدايا ودعوت لها بالخير ووجدت والدها عند وداعي يهمس لي همسة ذات معنى ويقول : " الدنيا ما تكتمل لأحد يا ولدي وما كل ما يتمنى المرء يدركه " ومن يومها وحب اليمنيين في قلبي كشجرة راسخة الجذور دائمة الثمار وليس الحب للحبيب الأول فحسب بل ولكل ما يمت له بصلة ولو كان شعب كامل .!

المقامة الحداثية

حدثني أبو الفتح الصنعاني ذلك الأديب العجيب قال: ساقتني الأقدار إلى مجلس أبو محمد الشيباني حريري زمانه وفريد أوانه في كتابة المقامة ورواية القصص والفكاهات فقربني إليه من دون الناس أجمعين..

وقال لي وللحاضرين: إن كنت قد أعجبت بالمقامة الصنعانية فدعني أروي لك أخرى فقلت: زدني من بحر غرائبك وأتحفني بعجائبك فإني رجل تستهويني روائع الأدب وأطرب لها أيما طرب فقال: أما سمعت بأدونيس؟ قلت: بلى أليس هو كبير الحداثيين الذي علمهم السحر وأسس معهم مجلة "شعر" ؟!

قال: هو بعينه ثم أخرج من حقيبته صحيفة وجعل يقرا بطريقة لطيفة :

يمكن لمن يتابع ما يكتبه ويصرح به أدونيس "علي أحمد سعيد" من أفكار وما يقدمه من هذيان يزعم أنه شعر حر ـ أن يجد نفسه إزاء حالة من المسخ والتزييف الثقافي العربي بداية من تغيير اسمه "علي" إلى أدونيس الذي تزعم الأساطير اليونانية والفرعونية الوثنية بأنه إله الخصب والربيع إلى تنكره لمبادئ أمته وثقافتها الإسلامية إلى كسره لكل قواعد اللغة والشعر، أدونيس وبقية الشلة التي تجمعت حول مجلة شعر التي صدر قبل عقود (والتي ثبت مؤخراً أنها كانت من ضمن الجهات التي مولتها الاستخبارات الأمريكية كما تؤكد الوثائق التي سربها باحث في الخارجية البريطانية وصدرت في كتاب بعنوان "من يدفع للزمار يختار اللحن")..

اتخذوا دعوى الحداثة ذريعة لتخريب قواعد اللغة والشعر والتراث الإسلامي العلمي والأدبي ولم يكتفوا بهذا بل تعدوه بهذا بل تعدتها إلى الإساءة للدين بدعوى كسر التابوهات والثوابت!

يطمع أدونيس منذ عقود في تحقيق مجده وغايته في الحصول على جائزة نوبل للإبداع الأدبي، ولكن اللوبي الصهيوني خيب أمله رغم كل التنازلات التي يبذلها فهذا اللوبي أشطر منه ولديه حسابات دقيقة، ومصلحة الكيان الصهيوني عنده فوق كل اعتبار وأدونيس متشاعر مفضوح في عقر داره وليس له تأثير في الساحة العربية يذكر كنجيب محفوظ مثلاً يمكن أن يحقق أهدافاً ثقافية وتطبيعية للوبي الصهيوني ، وما أحسن توصيف الدكتور غازي القصيبي لحالة أدونيس حين قال عنه في رواية العصفورية " أدونيس الشاعر المعاصر رأيته في زقاق من أزقة باريس الضيقة لا يبعد كثيراً عن مكان إقامة إرما دي لوس كان في مقهى بوهيمي يكتب ويمزق كل ما يكتبه قلت: ماذا تفعل يا أدون ؟ قال: وما أدون ؟ قلت: ولو يا أبا الأدانسة ! ترخيماً أحذف آخر المنادى كيا سعا فيمن دعا سعادا فقل على الأول في ثموديا.. ثمو ويا ثمي..) وهنا قاطعني: (لأنك من أنصار الثابت؟!

قلت: (ولا فخر ماذا تفعل هنا؟)

قال: " أكتب ديوان شعر " قلت: (يقوى ساعدك وماذا سميته؟)

قال: (أغاني مهيار الدمشقي) قلت ((الفارسي))

قال: ((الفارسي)) قلت: (إذن تحول مهيار؟)

قال: (تحول اجلس معي واشرب كوكتيل صدمة الحداثة)

قلت: (وما كوكتيل صدمة الحداثة؟)

قال: (خذ كفريات ابن الراوندي الملحد، وهرطقات بشار الأعمى الناصح، وشعوبيات أبي نواس الغلامي الزنديق ورش عليها شكوكيات أبي العلا المعري، وتقعرات أبي تمام، ثم خذ خربقاً وسلفقاً فزهزهقه وزقزقه فينتج كوكتيل صدمة الحداثة).

قلت (ويلمها "صدمة " ويلم "شاربها" .... لمثلها خلق المهرية القود) .

المقامة الصنعانية

حدثنا أبو الفتح الصنعاني ذلك الأديب الأريب صاحب الغرائب والعجائب قال : خرجت مع صديق لي ذات مساء إلى بعض شوارع صنعاء لحاجة نشتريها وقررت مع صاحبي أن نتريض بالمشي على الأقدام بدلاً من ركوب السيارات والباصات وما تجلبه بمرورها على الحفر والمطبات ، وبينما نحن نمشي في إحدى الحارات إذ وجدنا لوحة إعلانات بجوار إحدى المؤسسات الثقافية كتب عليها : بمناسبة إصدار الشاعر الحداثي عبده شقف ديوانه الأول تحت عنوان (خربشات في قعر بطن المتاهة) .

يسر مجموعة " العراطيط " الأدبية وبالتعاون مع مجموعة " المداليز " الثقافية أن تدعو لحفل توقيع الشاعر على ديوانه الجديد

مساء هذا اليوم حيث سيقرأ الشاعر قصائد مختارة من ديوانه الجديد والدعوة عامة .

وقد دفعنا الفضول إلى التضحية بوقتنا والدخول إلى قاعة صغيرة شبه فارغة إلا من نفر قليل وعلى المنصة جلس ثلاثة من هؤلاء كان أحدهم يلبس " بنطلون جينز " ضيقاً وممزقاً من وسطه وأطرافه وقميصاً مخططاً وشعره منكوش وعلى عينيه نظارة سوداء ويدخن سيجارة بشره ويقرأ من وريقات كانت أمامه لكننا لم أفهم ما يقول فقد حاولت وصاحبي أن نخرج بجملة مفيدة ولكن محاولاتنا فشلت فقد كان ذاك المتشاعر الحداثي يكسر المرفوع وينصب المبتدأ ويجمع الصحراء بالسماء ويجعل الطير في قاع الماء والسمك في جو الفضاء وغير ذلك من الكلام الغريب والهذيان العجيب الذي لا يصدر عن عاقل أريب ناهيك عن كونه " شاعر وأديب " ولحسن حظنا أننا كنا لم نزل واقفين فقررنا الخروج أو قل : الهروب وما إن غادرنا القاعة حتى لحق بنا ذلك المتشاعر يجري ليهدي لكل واحد منا ديوانه فأخذناه وشكرناه وبدأنا نقلب الصفحات فإذا بهذيان مكتوب لا يجوز أن نسميه شعراً وقصائد لأنه بلا وزن وقافية وبلا معاني سليمة وأفكار مستقيمة .

يقول الشاعر في هذيانه :

صغيراً على الحلم أنا...

أخربش بقعر متاهة زرقاء...

الوقت يجري كالهارب ...

والساعة تك تك تك ..

وأنا أنت ...

من أنت ؟!

أحدوثة تفترش قارعة الرصيف ..

تلتحف جناح نورس غرق في المحيط ...

مصلوب أنا في انتظار وداع زمن لم يأت وقد مضى...

قال أبو الفتح الصنعاني : فلما قرأنا هذيانه شعرنا بالغثيان واختطفت الديوان من يد صاحبي بعجالة أقلب فيه هل سأجد فيه لفظ الجلالة لأني قد عزمت على رميه في الزبالة فلما لم أجد فيه اسم الله رميته في أقرب صندوق وعدت أدراجي وأن على حال العربية تلك الحسناء المهجورة والتي تعيش بحسرتها مقهورة .

الفهرس

1- المقدمة 2
2 - الولي 3
3- حادثة غريبة..... 7
4- لصوص لكن مبدعون 11
5- حوالة من غريب 14
6- مؤامرة حمار 16
7 - مكان للتذكر 18
8 - عن الحضارة التي بنيتها 21
9 - مواطن صالح 23
10 - شجرة الوجع 28
11 - مجنون المحاكم 30
12 - تمرد مبكر 34
13 - محاولة فاشلة لتقويم ذيل الكلب ! 36
14 - موعد مع الخرافة 38
15 - عن رحلتي الفاشلة إلى القمر 40
16- رجل من أهل الكهف 42
17 - سائح يبحث عن خاطف 45

18 ـ غراميات ابن الجيران 48
19 ـ الكابوس 50
20 ـ طلاب آخر زمن 53
21 ـ الشيخ والمسؤول 58
22 ـ من بلاد الحبيبة 60
23 ـ المقاومة الحداثية 61
24ـ المقامة الصنعانية 64